سلسلة الأبحاث الفقهية والأصولية
14

إصدارات مخبر الدراسات الفقهية والقضائية

جامعة الوادي - الجزائر

الإمـــام
محمد بن مرزوق الحفيد التلمساني
و جهوده في الفتوى

(766 - 842 هـ)

بقلم

الدكتور : المانع مجيدي

سلسلة الأبحاث الفقهية والأصولية
14
الإمام محمد بن مرزوق الحفيد التلمساني و جهوده في الفتوى
الدكتور المانع مجيدي

Publications
Laboratory of Doctrinal and Judicial Studies
University of Eloued

SERIES RESEARCH JURISPRUDENCE AND FUNDAMENTALISM
14

هذا الكتاب

يعتبر الإمام ابن مرزوق الحفيد أحد الفقهاء الجزائريين الأعلام خلال القرن التاسع الهجري، حيث حلّاه معاصروه بألقاب شتّى لعل في مقدّمتها أنّه شيخ الإفتاء بتلمسان، وسار النّاس على فتاويه، في الحلال والحرام ردحا من الزمن؛ وخلّف من بعده مكتبة ضخمة متنوعة غطت مساحة واسعة من العلوم الإسلامية.

وجاءت صفحات هذا الكتاب لتعريف القارئ بهذه الشخصية العلمية الفذة، وتقديم لمحة عن العصر الذي تواجد فيه، ونبذة عن محطات حياته، مع التركيز على جهوده في الفتوى وما تميزت به من حيث الصنعة والتأثير.

ISBN 978-9931-798-12-5
9 789931 798125

سامي للطباعة والنشر والتوزيع

Laboratory of Doctrinal and Judicial Studies
University of Eloued

P.O. Box 789 Eloued 39000 Algeria
Phone - Fax: 032 223 004
La-et-do-ju@univ-eloued.dz
https://www.univ-eloued.dz

إصدارات مخبر الدراسات الفقهية والقضائية
جامعة الوادي ـ الجزائر

سلسلة الأبحاث الفقهية والأصولية (14)

الإمام محمّد بن مرزوق الحفيد التلمساني

(المولود عام 766هـ ، والمتوفى سنة 842هـ)

وجهوده في الفتوى

بقلم

الدكتور: المانع مجيدي

مخبر الدراسات الفقهية والقضائية
جامعة الوادي - الجزائر
مخبر بحث معتمد من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
تحت رقم (70) بتاريخ: 2015/02/21. الرمز: E0780500
البريد الإلكتروني: La-et-do-ju@univ-eloued.dz
الموقع الإلكتروني: https://www.univ-eloued.dz/ldjs

الطبعة الأولى
1442هـ / 2020 م

© محفوظة جميع الحقوق

ردمك: 978-9931-798-12-5
رقم الإيداع القانوني: أكتوبر 2020
سامي للنشر والطباعة والتوزيع
ولاية الوادي - الجزائر
032 14 93 39
0557 97 44 43
imp.alwady@gmail.com

الإهـداء

- إلى روحي والدي طيّب الله ثراه.
- إلى والدتي حفظها الله.
- إلى أساتذتي الذين لهم عليّ فضل.
- إلى إخوتي وأخواتي.
- إلى رفقاء الدرب.
- إلى كلّ من يعتزّ بتاريخ بلاده الحبيبة وعلمائها عبر الأزمان.

أهدي هذا العمل في تواضع

المانع

تقديم مدير المخبر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد،

فإن الفقه العملي هو الموجِّه لمختلف الأنشطة، وعلى وجه الخصوص الممارسة الدينية في المجتمع، وهذا التوجيه يحتاج إلى وجود شخصيات علمية فاعلة، تثبت مركزها في مجال الدرس الفقهي وما يتطلبه من معرفة ومهارات، وتثبت حضورها أيضا في الحياة الاجتماعية وما فيها من تدافع؛ للتمكن من تحصيل مختلف المصالح الفردية والجماعية.

لأجل ذلك اهتم المسلمون على مدار تاريخهم المديد بميراث النبوة متمثلا في تكوين شخصيات علمية لها شأنها؛ استجابة لقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة]، وامتثالا لتوجيه النبي ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدّين» [البخاري].

ولقد شهد المغرب الأوسط (الجزائر) نشاطا علميا فاعلا منذ أن وطئت أقدام الفاتحين هذا البلد الطيب في القرن الأول للهجرة، وامتد النشاط الفقهي قرونا من الزمن محافظا على نقاء العقيدة ووضوح الشريعة وصفاء الأخلاق. وأنتج هذا النشاط المتميز قدرا كبيرا من الانسجام المجتمعي، ظهر أثره في التمسك بمقومات التدين، والدفاع عن المحارم، والنفير العام لطرد فلول الاحتلال الأجنبي البغيظ، وكان آخر فصوله منتصف القرن الميلادي السابق.

وفي إطار استثمار الرصيد الفقهي الموروث والاستفادة منه موضوعا ومنهجا، جاءت صفحات هذا البحث لتميط اللثام عن مآثر شخصية جزائرية علمية من طراز رفيع، كان لها شأن كبير في تاريخنا المشرق. وحق لنا أن نتساءل عن عوامل ذلك النبوغ، وكيف يمكن استخلاص الفوائد غير منتهية

الصلاحية منه؛ لأجل إعادة بعث عوامل القوة، وترميم الجوانب التي مسّها الوهن، بعد التزود بما يقتضيه واجب الوقت.

كانت نواة هذا البحث عام (2014م) لما أنجز الباحث مذكرة تخرجه في الماستر بإشرافنا، والتي عنون لها بـ: "فتاوى أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني الحفيد (ت842هـ) في أحكام البيوع والمعاملات – جمعا ودراسة"، وقد كان مشروعنا آنذاك يقضي بتوجيه الباحثين لاستخراج وتوثيق ودراسة فتاوى الشخصيات الفقهية الجزائرية من خلال مدونات فقه النوازل، كنوازل البرزلي، والدرر المكنونة، والمعيار المعرب... الخ

وقد وفّق الباحث بقدر كبير في الموضوع الذي أنجزه لكنه يبقى غير مكتمل، حيث ينتظر جهدا أكبر لأجل جمع وتوثيق ودراسة كل الرصيد المدون من الفتاوى لإمام ابن مرزوق الحفيد.

ونظرا لكون المأمول إنجازه قد يأخذ مساحة زمنية واسعة حتى يخرج بالصورة التي نطمح إليها؛ فإننا نستعجل اليوم بأن نقدّم للقراء تعريفا بشخصية الإمام ابن مرزوق الحفيد، وإعطاء لمحة عن جهوده في خدمة الفتوى.

لا أملك إلا أن أوجه خالص الشكر والمؤازرة للباحث الدكتور المانع مجيدي على اجتهاده في تحرير هذه الصفحات القيمة، ونسأل الله تعالى أن يبارك فيه ويوفقه إلى المزيد من الأعمال الصالحات. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الوادي في: 23 صفر 1442هـ الموافق لـ 10 أكتوبر 2020م

مدير المخبر / أ.د. ابراهيم رحماني

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النّبي الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد:

ممَّا لا شكَّ فيه أَنَّ بلدنا الجزائر لم يتأخر في خدمة العلم عبر القرون السالفة؛ بل كان له عطاء كبير، دوَّنه التاريخ في صفحاته، ففي كلّ قرن كان يشرق من أبنائه من يدلي بدَلوَه في خدمة العلم، والدارس للكُتُبِ التي خصّت علماء الجزائر بالترجمة وغيرها، لَيَأخذه العجب العُجَاب، وينبهر بما يجد، وهو يقرأ عن هؤلاء الأعلام الذين كانوا بدورًا تتلألأ في سماء العلم والمعرفة والاجتهاد؛ توفّر لبعضهم الاهتمام بحيث حُفِظت جهودهم ومؤلفاتهم، فكان لها النصيب الأوفر، فانتشرت في الآفاق شرقا وغربا، والبعض الآخر المغمور لم يجد شيئا ممّا ذُكر فكان طيَّ النسيان.

ومع كلّ هذا فقد تحدَّى أبناء وطننا المُفدَّى الصعابَ، مجتهدين في طلب العلم الشرعي بكلّ ما أتيح لهم، حيث برعوا في المنقول والمعقول، فكانوا مُلِمّين بعلوم وقتهم، حتى ذاع صيتهم في المغرب الإسلامي كافّة، بل وبقاع الأرض مشرقا ومغربا، وخلّفوا وراءهم كنوزا عظيمة، انبرت لها أيادي النُسَّاخ وملئت بها الرفوف. ولكن ما يُؤسَف عليه حقيقة أَنَّه انتشر بين الأفاضل صفة ذميمة، تتمثّل في العقوق، حيث عقَّ التلاميذُ شيوخَهم، وهذه الصفة على التعيين نكّدت صفو الإمام السنوسي قديما، جعلته يبرزها في كلامه كثيرا، فقد نقل صاحب كتاب "البستان" فحوى كلامه قائلا: "...أَنَّ فيه تخلصا ممّا عليه أهل الزمن من القدح بمن عاصرهم من الصالحين أو

عاصرهم من بعض ذريتهم، والقرابة إليهم؛ وهذا خُلُق ذميم جدًّا، وقد نال منه أهل المغرب -خصوصا أهل بلدنا- حظا أوفر مما نال غيرهم، ولهذا لا يجد أكثرنا اعتناء بمشايخنا، ولا يحسن الأدب معهم...ويرحم الله المشارقة ما أكثر اعتناءهم بمشايخهم، وبالصالحين منهم خصوصا...."[1]

ويعتبر الإمام ابن مرزوق الحفيد أحد أولئك الأعلام الذين أنجبتهم بلادنا، حيث حلَّاه المترجمون بألقاب شتَّى في مقدّمتها أَنَّه كان شيخ الإفتاء بتلمسان، وكان النّاس على فتاويه في الحلال والحرام؛ فشخصية بمثل هاته المكانة يجب أن لا تبقى مغمورة، وتظل كُتُبها حبيسة الرفوف.

وإِنَّني أرى أَنَّ من حقِّ هولاء الأفاضل علينا، تدوين أخبارهم، وتسجيل سيرهم، وأَخْذ العبر والفوائد من تراجمهم، والتأسي بخصالهم ومناقبهم، ليبقى نورهم يُشعّ، وذكرهم يطول.

أمَّا تخصيص هذا العالم الهمام الفذ بالترجمة فكان أيّام الدّراسة في مرحلة الماستر لمَّا كنت بصدد إنجاز مذكرّة تتناول بعض فتاويه، فتأكّد لي الأمر بعد النّظر والتأمّل فيما كُتِب عنه من قِبَلِ المؤرّخين، وزادت حسرتي لمَّا رأيت تغييبًا له من طرف الجزائريين، فعقدت العزم حينها على وضْعِ تأليف يذكر سيرته ومسيرته، إكرامًا له وتقرّبًا إلى الله بذكره.

أمَّا خطّة البحث فجاءت على النحو الآتي:

(1) ابن مريم، البستان، ص7.

مقدّمة.

المبحث الأول

عصر الإمام ابن مرزوق الحفيد

المطلب الأول: الحياة السياسية في عصر الإمام ابن مرزوق الحفيد

المطلب الثاني: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في عصر الإمام ابن مرزوق الحفيد

المطلب الثالث: الحياة الدينية في عصر الإمام ابن مرزوق الحفيد

المطلب الرابع: الحياة العلمية والفكرية في عصر الإمام ابن مرزوق الحفيد

المبحث الثاني

حياة الإمام ابن مرزوق الحفيد

المطلب الأول: اسم الإمام ابن مرزوق الحفيد ونسبه ومولده.

المطلب الثاني: نشأة الإمام ابن مرزوق الحفيد ورحلته العلمية.

المطلب الثالث: شيوخ الإمام ابن مرزوق الحفيد وتلاميذه.

المطلب الرابع: مكانة الإمام ابن مرزوق الحفيد العلمية وشهادة العلماء له.

المطلب الخامس: مؤلفات الإمام ابن مرزوق الحفيد.

المطلب السادس: وفاة الإمام ابن مرزوق الحفيد.

المبحث الثالث

جهود الإمام ابن مرزوق الحفيد في الفتوى

المطلب الأول: مصادر فتاوى الإمام ابن مرزوق الحفيد من الكُتُب والأعلام

المطلب الثاني: موضوعات فتاوى الإمام ابن مرزوق الحفيد

المطلب الثالث: منهج وأسلوب الإمام ابن مرزوق الحفيد في فتاويه

المطلب الرابع: مكانة فتاوى الإمام ابن مرزوق الحفيد العلمية ومستفتيه

الخاتمة.

وختامًا، فإِنَّ أملي أن يكون هذا العمل إضافة طيّبة في حقل البحث العلمي والثَّقافة الإسلامية، وأسأل الله العليَّ القدير أن يتقبَّله منّي، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة؛ إِنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه، وصلّ اللّهم وسلّم على حبيبنا محمّد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العاملين.

المبحث الأول

عصر الإمام ابن مرزوق الحفيد

من المعلوم أَنَّ الإنسان ابن بيئته، تؤثر فيه الأحداث سواء السياسية منها أو الاجتماعية وحتى الاقتصادية، كانت سلبية أو إيجابية، بحيث تترك أثرًا عميقا يساهم في صنع شخصية الفرد وتكوين ثقافته وتحديد اتجاهاته وأنماط سلوكه.

ولقد عاش الإمام ابن مرزوق الحفيد في الفترة الواقعة بين سنتي (766هـ-842هـ) هذا يعني بِلُغَة المؤرِّخين في الربع الثالث من القرن الثامن الهجري، والنصف الأول من القرن التاسع الهجري.

فهذه الفترة التاريخية بطبيعة الحال قد مرَّت بها أحداث سياسية، وكذلك ظروف اجتماعية واقتصادية يتحتَّم علينا أن نفصلَّ كلَّ حدث من الأحداث بإيجاز في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الحياة السياسية في عصر الإمام ابن مرزوق الحفيد

المطلب الثاني: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في عصر الإمام ابن مرزوق الحفيد

المطلب الثالث: الحياة الدينية في عصر الإمام ابن مرزوق الحفيد

المطلب الرابع: الحياة العلمية والفكرية في عصر الإمام ابن مرزوق الحفيد

المطلب الأول
الحالة السياسية في عصر الإمام ابن مرزوق الحفيد

ممَّا لاشك فيه أَنَّ الأوضاع السياسية والتي تكون في زمن معين، وفي مكان ما تترك أثرًا بالغا على شخصية أولئك الأفراد الذين عاصروها وعايشوها.

حيث إِنَّ الإمام ابن مرزوق الحفيد عاش في ظل حكم الدولة الزيَّانيَّة التي كانت لها صدامات مع الدولتين المرينية والحفصية[1]، فالضغائن بين بني مرين وبين عبد الواد[2]- الزيانيين- قديمة؛ ناشئة عن الجوار في المسكن، ثم في الملك، وعن المنافسة في الاستقلال برئاسة زناتة، فكثرت الحروب بينهما، وكان مُلك مرين أعظم، فكان الفوز لهم غالبا، فلمّا احتضر يغمراسن[3] أوصى خَلَفَه بمسالمة مرين، والتوسع في مملكة الحفصيين، لكن مرين التي لا

---

(1) نسبتها لمؤسسها أبي زكريا يحي الحفصي، الذي استغلّ ضعف الدولة الموحدية وانحطاطها، وأعلن استقلاله بإفريقية، وأخذ يتطلّع إلى كرسي الخلافة الموحدّية بمراكش فاستولى عليها، واستولى على كثير من مدن المغرب الأوسط، غير أَنَّ ظهور الدولة الزيَّانيَّة قيّض من توسعات الحفصيين في المغرب الأوسط، فضلا على الصراع بين أفراد البيت الحفصي، أدّى إلى تقسيم المملكة إلى دولتين. (ينظر: ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص108 وما بعدها).

(2) هذه القبيلة لها نظم وفضل، وشأن وإكرام، وهو فخذان أحدهما بنو عبد الواد، وبهذا الاسم عُرف الجميع تغليبا، وأصله عبد الوادي، رهبانية عُرف بها جدُّهم من ولد شجيح بن واسين، استوطنوا الصحراء، وينتجعون مراعيها من سجلماسة إلى أرض الزاب من إفريقية، وبجبل الزاب اليوم منهم قبائل أهل مدر. (ينظر: يحي بن خلدون، بغية الرواد، 1/94-96).

(3) هو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد، من بني عبد الواد، كان من أشدهم بأسا، وكانت له في النفوس مهابة، وأعرفهم بمصالح قبيلته، ولي الملك سنة 633هـ، ودان له المغرب الأوسط وتلمسان. توسّع ابن خلدون في ذكره. (ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، 7/105-122).

يرضيها مقاسمة عبد الواد لها رئاسة زناتة[1]، كانت تتجنّى عليهم تارة بأنهم آووا ثائراً عليها، وأخرى بأنّهم ردّوا شفاعتها في مجرم سياسي من رعاياهم أو في تخلية سبيل الممالك الحفصية، فلم يكن في إمكان عبد الواد إرضاؤها، وكانت أيام السلم بينهما هي أيام اشتغالها بفتن داخلية[2].

حتى قال يغمراسن:

فلا صلح حتى نروي السيف والقنا ❋ وتأخذ عبد الواد منكم ثارها

وأشفي غليلي من مرين التي طغت ❋ بسبي غوانيها وقتل خيارها[3]

الفرع الأول: الدولة الزيَّانيَّة الجديدة

- دولة أبي حمو موسى الثاني بن يوسف (760 هـ-791 هـ):

ساعدت الظروف أبو حمو موسى الثاني في استعادة الدولة الزيَّانيَّة حين انفصل عن عمّه الملك أبي ثابت، فاستمر في ثوب التنكر حتى وصل تونس، فرفع قدره السلطان أبو إسحاق بن أبي يحي بن أبي زكريا، وقابله بما يقابل به مثله، ثم إنَّ السلطان أبا عنان[4] تحرك نحو إفريقية، فلما أخذ قسنطينة وبلد

(1) قبيلة قديمة العهد، تتكلَّم البربرية، مواطنهم في سائر مواطن البربر بإفريقية والمغرب، حتى أصبح يقال عن المغرب الأوسط: وطن زناتة، قيل زناتة: هو شانا بن يحي بن صولات، لها بطون عديدة منها بنو عبد الواد، وبنو راشد، وجرواة، وصنهاجة، وكلّ هؤلاء بطون عظيمة جدًّا. (ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص495).

(2) ينظر: الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، (2/422).

(3) ينظر: المرجع نفسه، (2/422).

(4) هو فَارس بن عَليّ بن عُثْمَان بن يَعْقُوب بن عبد الحميد المرينى، يكنّى أبو عنان لقبه المتوكّل على الله، ولد بفاس الجديد 12 ربيع الأول 729هـ، أمه أم ولد رومية، بويع في حياة والده يوم ثار عليه بتلمسان سنة 749هـ، كان فقيها يناظر العلماء الجلّة، عارفا بالمنطق وأصول =

العنّاب[1] وصبح أسطوله تونس، ارتحل أميرها أبو إسحاق نحو الجريد[2]، فصحبه المولى أبو حمو، فلما قفل بنو مرين رجعا إلى إفريقية، وورد على المولى أبي حمو هنالك سفير بن عامر بقبيلة بني عامر[3]، والتقت به أيضا جماعة من زناتة، فجاؤوا مغربين على جبل عياض، ومنه توجهوا إلى الزاب[4] ووارجلا[5]، ثم

= الدين، محبًّا للعلم والعلماء، كان بينه وبين الدولة الزيَّانيَّة عداء شديد، توفي قتيلا خنقه وزيره الحسن بن عمر الفودودي يوم السبت 28 ذو الحجة سنة 759هـ. (ينظر: إ. ليقي بروفنسال، نخب مختارة، ص66؛ وابن حجر، الدرر الكامنة، 4/256).

(1) وتسمّى بونة؛ وهي مدينة مقتدرة، ليست بالكبيرة ولا الصغيرة، وهي على نحو البحر، ولها أسواق حسنة، وتجارة مقصودة، وفيها خِصب ورُخْص موصوف، وفواكه وبساتين قريبة، وبها معادن حديد كثيرة، ويحمل منها إلى الأقطار الغزيرُ الكثيرُ، ومن تجارتها الغنم والصوف والماشية من الدواب. (ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص77).

(2) هي مدن كثيرة، وأقطار واسعة، وعمائر متصلة، كثيرة الخصب والتمر والزيتون والفواكه وجميع الخيرات، وهي آخر بلاد إفريقية على طرف الصحراء، سميت بلاد الجريد لكثرة النخيل بها. (ينظر: مؤلف مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص150).

(3) قبيلة عربية تنتمي إلى بني هلال، وبالتحديد إلى قبيلة زغبة منهم، مواطنهم الأولى كانت مجاورة لإخوتهم بني يزيد حنوب وطن حمزة. نقلهم يغمراسن بن زيان لموطنهم الجديد جنوب تلمسان؛ ليكونوا حجزا بين المعقل وبين وطنها، استقروا هناك يتقلبون في قفارها في المشاتي، ويظهرون إلى التلول في المرابع والمصافي. وكان فيهم ثلاثة بطون: بنو يعقوب بن عامر، وبنو حميد بن عامر، وبنو شافع بن عامر. (ينظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، 6/68).

(4) هي على طرف الصحراء، في سمت بلاد الجريد، وهي مثلها في هوائها وكثرة نخلها، وهي مدن كثيرة، وأنظار واسعة، وعمائر متصلة، فيها المياه السائحة، والأنهار والعيون الكثيرة. (ينظر: مؤلف مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص171).

(5) تسمّى الآن ورقلة؛ وهي بلدة كبيرة جدًّا، ولها سور يحيط بها، فيه عدّة أبواب، وهي مقسّمة بين ثلاثة عروش، لغة السكّان فيها البربرية، وتعجّ ورقلة بأشجار النّخيل، بها منابع مائية كثيرة، سكّانها يسمّون الرواغة، كما أنَّه يمكن للعين أن ترى القرى الآتية من أعلى منارة في ورقلة وهي: الرويسات، وعجاجب، ومقوسة، أمّا جنوب ورقلة فكلّه رمال لا نهاية لها. (ينظر: الحاج ابن الدين، رحلة الأغواطي، ص92).

غزوا أولاد عريف[1]، فكانوا يسيرون إليهم عشرة أيام لم يحلوا فيها سرجا ولا حطوا رحلا، فصبحوهم بوادي ملال، فاستباحوا المال وقتلوا كثيرا من الرجال، فكانت هذه الوقعة باكورة السعد[2].

واستولى أبو حمو على ملك تلمسان واستأثر بما ألفاه بها من متاع بني مرين ومن جملته هدية كان السلطان أبو عنان أعدها هنالك؛ ليبعث بها إلى طاغية برشلونة وفيها فرس أدهم من مقرباته ولجام مذَهَّبين ثقيلين، فاتخذ أبو حمو الفرس لركوبه وصرف باقي الهدية في وجوه مقاصده[3].

فكان قد نظم قصيدة في رحلته من تونس إلى تلمسان منها قوله:

وجئت تلمسان التي كنت أرتجي .:. كما ذكروه في الجفر أهل الملاحم
وخلصت من غصابها دار ملكنا .:. وطهرتها من كل باغ وظالم[4]

ساس أهل مملكته بالسيرة الحسنى، وغمر الرعية قسطاس عدله الأسنى، وقسم أوقاته بين حكم يقضيه، وحق يمضيه، وعاق يرضيه، وسيف لحماية الدين ينضيه، وجفن عن عوراء الأمة يغضيه، وسبيل إلى رضاء الله تعالى ورسوله يفضيه[5].

---

(1) هم أحد أحياء قبيلة سويد بن عامر بن مالك بن زغبة الهلاليين، من أشهر رؤسائهم ونزمار بن عريف، كانوا في البداية حلفاء لبني عبد الواد، ثم تحولوا عنهم إلى بني مرين. (ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، 6/68-73).

(2) ينظر: التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص157- 158.

(3) الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (4/4).

(4) مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص54-55.

(5) التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص160.

وكانت العلاقة بينه وبين بني الأحمر بغرناطة حسنة، حيث كان يمدّ أهل غرناطة كلّ سنة، بالزرع والمال والخيل، وييسّر لهم أسباب وسق الطعام، ويرى ذلك من الجهاد، ويحمل عليهم حديث الطائفة التي لا تزال بالمغرب ظاهرة على الحق[1].

إلا أَنَّه اضطر خلال فترة حكمه، التي امتدت أكثر من ثلاثين سنة، أن يخرج من عاصمته، والفرار بأهله وحاشيته إلى الفيافي أربع مرات نتيجة الغزو المريني المكثف[2].

ثم إِنَّ نهايته كانت سيئة، حيث إِنَّ ولده أبا تاشفين ثار عليه في أواخر أيامه، وقامت بينهما حروب طاحنة دامت ثلاث سنوات، وانتهت بموته عام 791هـ؛ كلّ هذا بمساعدة المرينيين[3].

الفرع الثاني: الهيمنة المرينية

- دولة أبي تاشفين عبد الرحمن الثاني (791 هـ-795 هـ): دامت مدة حكمه 3 سنين و4 أشهر و16 يوم:

تغلَّب أبو تاشفين على أبيه، بعد مراسيم دفن الوالد في تلمسان، وانفرد بالحكم بمساعدة مرينية، فصار يخضع لنفوذهم؛ لأَنَّهم سبب انتصاره ونعمته في التربع على العرش الزياني، وأزاح معارضيه من الأسرة وأصبح يخطب

(1) ينظر: الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، (2/448).
(2) عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، (1/55-56).
(3) ينظر: محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان، (1/92).

لسلاطين بني مرين على المنابر التلمسانية في المغرب الأوسط، ويؤدي الإتاوة السنوية بكل رضى، وهذا مايؤكد تبعية الدولة الزيَّانيَّة وهيمنة المرينيين[1].

وتحدّث عنه ابن خلدون قائلا: "... وأقام أبو تاشفين بتلمسان يقيم دعوة السلطان أبي العبّاس صاحب المغرب، ويخطب له على منابر تلمسان وأعمالها، ويبعث إليه بالضريبة كل سنة، كما اشترط على نفسه"[2].

ووصفه صاحب كتاب تاريخ بني زيان قائلا: "فلما تملّك كان عين الجود والكرم، ومعدن النزاهة، ورفعة القدر، وعلو الفهم، يشره إلى تحصيل غرر المعالي، ويتناولها بظبات الصفاح وأسنة العوالي، ويقتدي بأبيه في كل مأثرة من القول والفعل."[3]

توفي على سرير الملك 17 ربيع الثاني وقيل رمضان سنة 795هـ[4].

- دولة أبي ثابت الأول يوسف بن أبي تاشفين (795 هـ): دامت مدة حكمه 40 يوما:

بويع بتلمسان بعد أبيه في شهر ربيع الأول من عام 795 هـ، وقتل في شهر ربيع الثاني من السنة[5]، حين أدخل عليه غيلة عمه أبو الحجاج والي الجزائر

(1) ينظر: عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، (66/1).
(2) عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، (196/7).
(3) التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص186.
(4) ينظر: المزاري، طلوع سعد السعود، (188).
(5) ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، ص59.

فجرعه بعد الصفو الأجاج، بعد مضي أربعين من الأيام[1]، هو ووزيره وكافله أحمد بن العزّ[2].

وصفه ابن الأحمر قائلا: "وكان غليظ القلب، لا رحمة فيه، سفَّاكًا للدّماء."[3]

- دولة أبي الحجاج يوسف بن أبي حمو المعروف بابن الزابية[4] (795 هـ - 796 هـ): دامت مدة حكمه 10 أشهر:

بعدما تخلّص من ابن أخيه ووزيرة الوصي عليه، بويع للخلافة سنة 795 هـ، لكنّه لم ينعم في مسعاه طويلا، إذ سار إليه الأمير أبو فارس فاحتلّ تلمسان وملكها، وأقام فيها دعوة أبيه، فاعتصم ابن الزابية بحصن تاحجموت، فقتله أخوه أبو زيان سنة 796هـ[5].

حلاّه التنسي بقوله: "جند الجنود، وعقد الألوية والبنود، وأمر الأيام فائتمرت، وطافت بكعبته الأمال واعتمرت...."[6]

وصفه ابن الأحمر قائلا: "أبيض اللون، شديد القسوة، سفّاكا للدماء."[7]

---

(1) ينظر: التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص207.
(2) ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، (197/7).
(3) ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، ص59.
(4) المرجع نفسه، ص59.
(5) ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، (197/7).
(6) التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص209.
(7) ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، ص59.

- دولة أبي زيان الثاني محمد بن أبي حمو (796 هـ-801 هـ):

لمّا توفي السلطان أبو العباس، وهو مقيم بتازى شهر محرم في سنة 796هـ، استدعي ابنه أبا فارس من تلمسان، وبويع للخلافة مكان أبيه بفاس، وأطلِق سراح أبو زيان بن أبي حمو من الاعتقال، وأرسِل إلى تلمسان أميرا عليها[1].

أراد إعادة الدولة الزيَّانيَّة ازدهارها؛ بإقامة سوق المعارف ونظم المجالس، وكلف بالعلم حتى صار منهج لسانه، فلم تخل حضرته من مناظرة، ولا عمرت إلا بمذاكرة محاضرة، نسخ بيده نُسخا من القرآن وبعض الكتب الأخرى، حبسها كلّها بخزانته التي بمقدم الجامع الأعظم بتلمسان المحروسة، وصنّف كتابا نحا فيه منحى التصوف سمّاه: "كتاب الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة."[2]

وأتته هدية خفيفة من القماش والطيب والقسي من ملك مصر أبي سعيد برقوق، فوجّه له هديّة جليلة، ممثّلة في الجياد بمراكبها، ومعها قصيدة لامية من نظمه عدد أبياتها خمس وستون بيتا مطلعها:

لمن الركائب سيرهنّ ذميل .:. فالصبر -إلَّا بعدهنّ- جميل[3].

ووصف ابن الأحمر كيفية قتله قائلا: "...ثم قُتل، وسيق رأسه إلى

(1) ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، (7/197-198).

(2) ينظر: التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص210-211.

(3) ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص267- 268.

الحضرة، فطيف به في فاس على رمح."[1]

- **دولة أبي محمد عبد الله الأول بن أبي حمو (801 هـ-804 هـ):**

بعثه السلطان عثمان المريني من فاس مع جيش لجب من بني مرين، فالتقى مع أخيه أبي زيان بظاهر تلمسان، ففرّ أبو زيان بعد الهزيمة عليه بسيوف مرين، وذلك في صفر عام 802 هـ، ودخل عبد الله مدينة تلمسان، وكان يعطي الخراج في كل سنة للدولة المرينية[2].

فازدانت به المحافل، وانقادت له الجحافل، وصرف من مقتضى السياسة نفعا وضرا، فخافه إذ ذاك أرباب دولته، وشرفت به بنو مرين بعد أن كانوا من شيعته، فدبّر الجميع في خلعه، فأسلمته أسرته الذين ركن إليهم، فاعتقل وأخرج في هيئة توجب التحسّر، وحمُل من حينه للمغرب وهو وحيد، وعوّض مكانه محمد بن خولة[3].

فكان تدخّل بني مرين دائمًا مكشوفًا في خلافات الزيَّانيّين وحروبهم الدَّاخلية[4].

- **دولة أبي عبد الله محمد الأول بن أبي حمو الملقّب بالواثق بالله والمشهور بابن أبي خولة: (804 هـ-813 هـ):**

اعتلى عرش تلمسان بعد خلع أخيه أبي محمد عبد الله من طرف بني

---

(1) ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، ص60.

(2) ينظر: ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيَّانيَّة بتلمسان، ص84.

(3) ينظر: المزاري، طلوع سعد السعود، ص191.

(4) ينظر: محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، ص570.

مرين، فكان أمثل الملوك المتأخرين؛ رحب الفناء، جزيل العطاء، حليما عن الدماء، محبوبا من الرعية، فاستراحت الأمة أيامه وهنأت، وكاد يعيد للدولة شبابها، مات 17 ذو القعدة 813هـ[1].

- دولة عبد الرحمن بن محمد بن خولة (813 هـ): دامت مدة خلافته شهرين وأيام:

نشبت بعد توليه الحكم فتنة هوجاء؛ جرّاء دسائس المتنافسين، وتآمر المرينيين، وخُتمت بوثوب عمّه السعيد على سُدّة الحكم، فخلعه، واحتلّ مكانه في محرم سنة 814هـ[2].

- دولة السعيد بن أبي حمو (814 هـ): دامت مدة حكمه 5 أشهر:

بويع في أواخر محرم سنة 418 هـ، فوجد حضرة الملك مملوءة مفعمة، من بدرات نقود متممة، وعتاق خيل مسومة، فجالت في مجموع ذلك منه يد الجود حتى أصارته إلى العدم بعد الوجود، فما أكن أسرع من أشرق به أهل فاس فوجهوا إليه أخاه الملك عبد الواحد، فجرعه أمرّ الأكواس، في رجب سنة 814هـ[3].

- دولة أبي مالك عبد الواحد (المرة الأولى: 814 هـ-827 هـ):

تمت له البيعة ليلة السادس عشر رجب من عام 814 هـ، حيث اعتلى

(1) ينظر: الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، (2/ 461).
(2) ينظر: بوزياني الدراجي، أدباء وشعراء من تلمسان، (1/ 313).
(3) ينظر: التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص234- 235.

الملك وسما، فكان شجاعا متناهيا في الحزم والجد، مقتفيا آثار أبيه، استرجع الجزائر من الحفصيين، وحارب مرين في عقر دارها، وأخذ منها بثأر آل زيان، فاشتدت بذلك صولته، وامتدت دولته، تحقق كلّ هذا بعد أن أخضع القبائل لحكمه[1].

فحكم نحو أربع عشر سنة، حيث انتهى بذلك عهد السيطرة المرينية، وهيمنتها على المغرب الأوسط، لكن العلاقة مع الدولة الحفصية أخذت تسير نحو التأزم[2].

وبالنَّظر إلى تلك الأوضاع المزرية التي كان يمرّ بها المغرب الأقصى، حين وصل البرتغاليون إلى ما وراء الأندلس، واحتلالهم مدينة سبتة مرتين سنة 818 هـ، وسنة 823 هـ، بعد اغتيال سلطان فاس أبي سعيد عثمان[3]، وكذلك الخلاف القائم بين غرناطة وفاس على جبل طارق[4].

ففي هاته الظروف المواتية للدولة الحفصية؛ كون الدولة المرينية مغلوب على أمرها وهي تحتضر، شنّ السلطان أبو فارس الحفصي حملة عسكرية كان من ورائها بسط النفوذ والهيمنة في المغرب الأوسط باحتلال تلمسان سنة 827 هـ، بحجة أَنَّه سمع أَنَّ سيرة الأمير عبد الواحد غير محمودة[5]، ولكنّه تحاشى إلغاء

(1) ينظر: الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، (2/461).
(2) ينظر: عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، (1/69).
(3) ينظر: روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، (1/256).
(4) ينظر: الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (4/93).
(5) ينظر: محمد بن إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص125.

دولة بني عبد الوادي وإلحاقها بمملكته؛ بل وجعل عليها محمد بن أبي تاشفين المعروف بابن الحمراء أميرا بدل أبي مالك عبد الواحد[1].

الفرع الثالث: الهيمنة الحفصية

- دولة أبي عبد الله محمد الثاني ين يوسف بن أبي تاشفين الثاني المعروف بابن الحمراء (المرة الأولى: 827 هـ-831 هـ):

تمّت له البيعة يوم الأحد السادس عشر من جمادى الثانية عام سبعة وعشرين، فقابل الدهر أيامه بالإسعاد، حتى صارت من حسنها كالمواسم والأعياد[2]، ولكنّه عندما أبدى شيئا من الاستقلالية في خطب الجمعة في حدود سنة 832هـ[3]، أمر السلطان عسكرا صحبة قائد قسنطينة (جاء الخير) والسلطان أبو حمو عبد الواحد، الذي انتهى به الأمر إلى الاستقرار بتونس[4]، فانهزم (جاء الخير)، إلا أَنَّ السلطان أبي محمد عبد الواحد سار إلى الجبال، واستصرخ بأعرابها، وأتى بهم إلى تلمسان فملكها، وبعث بيعتها للسلطان بتونس في شهر رجب سنة 831 هـ، وخرج محمد بن تاشفين المعروف بابن الحمراء فارا بنفسه إلى الجبال[5].

(1) ينظر: المزاري، طلوع سعد السعود، ص192.
(2) ينظر: التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص241- 242.
(3) ينظر: روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، (257/1).
(4) ينظر: المرجع نفسه، (257/1).
(5) محمد بن إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص128.

– دولة أبي مالك عبد الواحد بن أبي حمو (المرة الثانية: 831 هـ– 833هـ):

تمكن السلطان أبو مالك عبد الواحد من العودة إلى تلمسان والتربع على عرشها، ولكن سرعان ما تعرّض إلى مضايقة ومنافسة ابن الحمراء المُطالب بملكه المسلوب منه، فبقي هذا الأخير مدّة في الجهة الغربية يطلب المساعدة، ثم توجّه إلى الشرق فمكث مدّة يريد الغاية نفسها، وعندما توفرت له القوة الكافية، توجه إلى تلمسان مستجيشا بعربها، فدخلها ليلة الأربعاء الرابع ذي القعدة 833 هـ، وقتل السلطان عبد الواحد صبيحة تلك الليلة[1].

– دولة أبي عبد الله محمد المعروف بابن الحمراء (المرة الثانية: 833 هـ) دامت مدة حكمه 84 يوما:

لمّا استقرّ السلطان محمد بحضرة ملكه، وتوجه عماله إلى ناحية مملكته، وصل الخبر إلى السلطان الحفصي أبو فارس[2]، فزحف مرّة ثانية على تلمسان، واستولى عليها سنة 834هـ، حيث نصّب فيها أميرًا ثالثا من بني عبد الوادي هو أبو العباس أحمد بن أبي حمو؛ شقيق عبد الواحد[3].

وفي سنة 835هـ قفل راجعا إلى حضرته، حاملا معه الأمير محمد بن السلطان أبي تاشفين، حيث اعتقله بقصبة تونس، وبقي بها إلى أن هلك في سنة 840هـ[4].

---

(1) ينظر: التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص245.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص246.

(3) ينظر: روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، (257/1).

(4) ينظر: محمد بن إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص129.

- دولة أبي العباس أحمد العاقل ابن أبي حمو (834 هـ-866 هـ) دامت مدة حكمه 32 سنة:

اعتلى أبو العباس أحمد العاقل؛ حفيد أبي موسى الثاني عرش تلمسان عام 834 هـ، بمساعدة السلطان أبي فارس عبد العزيز الحفصي، وأَنَّه قد اعتز بعد وفاة ذلك السلطان؛ أي ابتداءً من عام 837 هـ، فنشر العدل بين الرعية، وسعى في نشر العلم بترميم ما تلاشى من المدرسة التاشفينية، وبتشييد مسجد الحسن بن مخلوف الراشدي ومدرسته[1]، فدامت دولته على هذه الحالة 32 سنة، حتى استوفت أيامه المكتوبة بأتمّ سنة[2].

إلا أَنَّه تعرّض إلى منافسة أقربائه، حيث كان منهم أخوه أبو يحي زكرياء ابن أبي حمو موسى بن يوسف الذي ثار عليه سنة 838 هـ، فانعطف بوهران، واستولى عليها، فاستمرت بينهما حروب حتى سنة 853هـ، حين فتحها جيش أحمد العاقل، فهرب أبو يحي في البحر بما خفّ، ونزل ببجاية، ثم زاد إلى تونس إلى أن مات بها في أوائل سنة 855هـ[3].

وفي أواخر سنة 841هـ ثار عليه أبو زيان محمد المستعين بن أبي ثابت يوسف بن أبي تاشفين الثاني؛ وهو حفيد أخيه، بالمنطقة الشرقية، باحتلاله مدينة الجزائر، حيث دخلها ابنه سنة 842هـ، إلا أَنَّ أهلها غدروا بأبي زيان

(1) ينظر: محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان، (93/1).
(2) ينظر: المزاري، طلوع سعد السعود، ص194.
(3) ينظر: التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص249.

وقتلوه في 2 شوال 843 هـ، مع جملة من أصحابه[1].

وفي سنة 850هـ قام عليه أيضا ابن أخيه الأمير أحمد بن الناصر بن أبي حمو موسى مع جماعة، فلم ينجح له الأمر، وأوتي به لأحمد العاقل فقتله، وكان ذلك سبب بناء السور العظيم المدير على القصر الزائد لتلمسان حُسنا[2].

مع هذه الاضطرابات في نظام الحكم استمر ملك أبي العباس إلى سنة 866 هـ، حتى ثار عليه المتوكل من مليانة، والنصر أمامه، فاستولى على مدن عدّة منها مستغانم، وافتتح وهران، ومن ثمّ توجّه إلى تلمسان فأقام عليها يومين، ودخلها في الثالث؛ وهو يوم الاثنين أول يوم من جمادى الأولى، ففرّ الأمير إلى العبّاد، فقبض عليه ونفاه إلى الأندلس[3].

أما السّلطان الحفصي أبو عمرو عثمان، فقام بالتدخّل العسكري حينما استولى أبو عبد الله بن أبي زيان على حكم تلمسان، حينها غادر السلطان عثمان عاصمته في شوال على رأس عدد كبير من الجنود[4]، بعدما عاقب أثناء الطريق بعض المتمرّدين في منطقة الأوراس، وصل إلى تلمسان التي رفض صاحبها الاعتراف بتبعيته له، فاستولى الخوف على أبي عبد الله الذي وجّه إلى السلطان بعض علماء الدين لملاطفته، واعترف له صراحة بتبعيته له، فابتهج

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص251.

(2) ينظر: المزاري، طلوع سعد السعود، ص194.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص195.

(4) ينظر: روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، (290/1).

عثمان بعدم اضطراره إلى القتال، وقفل راجعا إلى تونس[1].

خلاصة:

إِنَّ الحكومة الزيَّانيَّة تألفت من عناصر السيف والقلم والمال والعلم:

فالسيف: كعبد الله بن مسلم الزردالي[2]، فكان قومه أخوة عبد الواد من بني بادين واندرجوا فيهم لقلّتهم، وكان عبد الله هذا مشهورا بالبسالة والإقدام، ولمّا تقلّد أبو حمو الثاني الملك لحقه في ثروة من المال وعصبة من العشير وأولياء من العرب، فقلّده لحينه وزارته، وفوّض إليه تدبير ملكه.

والقلم: فمن مشاهيره ابن خميس التلمساني[3] الذي استكتبه عثمان الأول، ثم انتقل إلى غرناطة فقتل بها سنة 708هـ، وكان شاعرا مجيدا، طويل النفس[4].

والمال: من مشاهير رجال المال بنو الملاح، وكان بنو الملاح هؤلاء قد استخصهم السلطان أبو حمو الأول بحجابته سائر أيامه، وكان مسمّى الحِجَابة عنده قهرمة الدار، والنظر في الدخل والخرج؛ وهم أهل بيت من

---

(1) ينظر: المرجع السابق، (1/291).

(2) لم أقف على ترجمته.

(3) هو محمد بن عمر بن محمد الحجري الرُّعَيني؛ أبو عبد الله، يعرف بابن خميس، من أهل تلمسان، من فحول الشعراء وأعلام البُلَغاء، حافظا لأشعار العرب وأخبارها، وكان رحمه الله تعالى: تعالى شيخ وحده زهدا وانقباضا وأدبا وهمّة، سليم الصدر، رحل من بلده تلمسان إلى سبتة، فأقام بها مدة، حيث مدح رؤساءها من بني العزفي، ثمّ انتقل إلى غرناطة فقعد لإقراء العربية بحضرتها، مات مقتولا، ضحوة يوم الفطر؛ مستهلّ شوال سنة 708هـ، وهو ابن نيّف وسبعين سنة. (ينظر: أحمد المقري، أزهار الرياض، 2/301- 304).

(4) ينظر: الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، (2/453).

قرطبة كانوا يحترفون فيها سكّة الدنانير والدراهم، وربما دفعوا إلى النظر في ذلك ثقة بأماناتهم، وفدوا على يغمراسن، وعنوا بالفلاحة، فولَّى منهم على أشغاله عبد الرحمن بن محمد بن الملاح، ثم كانوا أصحاب دولة[1].

فالزيّانيون قد دخلوا في صراعات وحروب متواصلة، تارة مع المرنيين وتارة مع الحفصيين، كما أَنَّ القادة الزيانيين كانوا يتصارعون فيما بينهم على السلطة ويكيدون لبعضهم البعض، ثم إنَّ بعض القادة المحليين أصبحوا يتحالفون مع الإسبان ضدّ الدولة الزيَّانيَّة ونتيجة لهذه الأسباب تمكن الإسبان من الاستيلاء على غرناطة آخر حصن عربي – إسلامي بالأندلس سنة 897هـ[2].

ولم يكن ملوك آل زيان يتلقّبون بألقاب الخلفاء كالمنصور والمستعين، إلا ذرّية أبي حمو الثاني، وكانوا يلون الأمر بالبيعة الشرعية إلا أبا تاشفين الأول وسميّه الثاني، وأكثر دربه أبي حمو، فإنهم تغلبوا على الأمر بقوة عصبية أو مدد خارجي، والملك مصدر كل السلط[3].

ومع كل هذا استطاع الإمام ابن مرزوق الحفيد أن يتبوَّأ مكانة علمية مرموقة، رغم تلك الظروف القاسية التي شهدتها تلمسان في زمنه، فكيف سيكون حاله لو كانت الظروف أحسن ممّا كانت عليه.

---

(1) ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، (7/140-141).

(2) عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، ص46-47.

(3) الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، (2/450).

المطلب الثاني
الحياة الاقتصادية والاجتماعية
في عصر الإمام ابن مرزوق الحفيد

وفيه الفروع الآتية:

الفرع الأول: الحالة الاقتصادية

إِنَّ الحياة المعيشية عموما ترتكز على ثلاث وجوه كما قال ابن خلدون في المقدّمة وغيره من المحقّقين من أهل الأدب والفكر "المعاش إمارة وتجارة وفلاحة وصناعة":

فالفلاحة تعتبر أقدم وجوهه لكونها "بسيطة وطبيعيّة فطريّة لا تحتاج إلى نظر ولا علم؛ ولهذا تنسب في الخليقة إلى آدم أبي البشر وأَنَّه معلّمها والقائم عليها."[1]

وأمّا المعاش الثاني فيتمثّل في الصناعة التي تعتبر متأخرة عن الزراعة؛ لأَنَّها "مركّبة وعلميّة تصرف فيها الأفكار والأنظار ولهذا لا يوجد غالبا إلّا في أهل الحضر الّذي هو متأخّر عن البدو وثان عنه."[2]

كما أَنَّ المعاش الثالث يتمحور في التجارة، التي وإن اعتُبِرت طبيعية في الكسب فإِنَّما "هي تحيّلات في الحصول على ما بين القيمتين في الشّراء والبيع لتحصل فائدة الكسب."[3]

---

(1) عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، (480/1).

(2) المصدر نفسه، (480/1).

(3) المصدر نفسه، (480/1).

فالنظرة الخلدونية هاته أوضحت لنا معالم المعاش الأساسية، حيث نجد أَنَّ الدولة الزيَّانيَّة عمّها الرخاء في معظم الفترات، فقد اعتنى ملوكها بالصناعات المختلفة من نسيج وورق ومعادن ونحاس، والأعمال الحرفية مثل الفخار ونحْت الرخام ونقْش الخشب والمجوهرات، كما اهتموا بالفلاحة وتربية المواشي، وأدى هذا العمل إلى ازدهار الحياة التجارية في مملكتهم، فكانوا يتاجرون عن طريق البر والبحر مع الدول الإفريقية السوداء مثل السودان والأندلس وأوربا والمشرق العربي يصدّرون ويستوْردون، وكانت البضاعة تدخل إلى تلمسان بحرا عن طريق ميناء هنين الموجود بالقرب من بني صاف[1].

يقول الميلي[2]: "المملكة الزيَّانيَّة فلاحية بطبيعة أرضها، تجارية بطبيعة موقعها، صناعية بطبيعة سكانها وإلقاح الجاليات الأندلسية والأسرى الأوربيين...وكان من أنواع الفلاحة القطن والكتّان وقصب السكر وسائر الحبوب، والثمار والفواكه والبقول والرياحين، مع عناية بترقية أساليب

(1) ينظر: عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، ص85.

(2) هو الشيخ مبارك بن محمد الميلي، ولد عام 1898م بالميلية، توفي أبوه وعمره 4 سنوات، فتربى في كنف عمّه، عاش فقيرا، حيث فرَّ من المنزل ليطلب العلم، فتتلمذ على يدي شيوخ أجلاء أمثال الشيخين محمد بن معنصر الميلي وعبد الحميد بن باديس القسنطيني، حيث يُعدُّ هذا الأخير أستاذه وصاحبه، باشر التعليم بقسنطينة والأغواط، فتتلمذ عليه يديه خلق كثير منهم ولده محمد، أمّا عن المناصب الإدارية التي تقلّدها فكثيرة، يُذكر منها انتخابه عضوا بالمجلس الإداري حين تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ترك مؤلفات كثيرة منها: رسالة الشرك ومظاهره. توفي في مارس 1945م. (ينظر: مقدمة طبعة الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، 15/1 وما بعدها).

الفلاحة، واستخراج المياه واستجلابها."[1]

ويدل أبلغ الدلالة على ما نعمت به تلمسان من رفاهية أيام دولة بني زيان ما نفذ إليه عالم رياضي بها يسمى أبا الحسن علي بن أحمد الملقَّب بابن الفحام من صنع منكانة أو ساعة كانت دقَّاقة، وقد وضعها في خزانة كبرى، ذات تماثيل فضية مُحكَمَة الصُّنع، وبأعلاها أيكة أو شجرة ملتفة، تحمل طائرا فرخاه تحت جناحيه، ويخاتله فيها ثعبان نافذ من كوَّة بجذر الأيكة يحاول الصعود ينتظر غفلته، وبصدْر الخزانة أبواب موصدة بعدد ساعات الليل الزمانية، إذ كانت توضع في الاحتفال الكبير بليلة المولد النبوي زمن أبي حمو موسى الثاني[2].

أمّا التجارة فإنَّ موقع تلمسان الاستراتيجي الذي يطل على البحر المتوسط، ويربط الصحراء بالتل، جعل الحركة التجارية في غاية النشاط والحيوية والانتعاش، حيث برزت عائلة المقريين بإنشائها شركة تجارية تسير وفق نظام دقيق.

وفي هذا الصدد يقول أحمد المقري: "...وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع، ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر، والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان، ويكاتبهما بأحوال التجار وأخبار البلدان، حتى اتسعت أموالهم،

(1) الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، (2/ 483).
(2) شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ص63- 64.

وارتفعت في الضخامة أحوالهم...."[1]

وحين دخل ليون الإفريقي تلمسان أواخر القرن التاسع الهجري، وصف تجارها، وأرباب الحرف فيها بالنشاط والعفة، ورغد العيش، ناهيك على تفضيل لباس التجار فيها عن لباس الفاسيين، وأمّا منتجاتها الفلاحية من خضر وفواكه فكانت متنوعة، حيث يتوفر الكرز، والتين الشديد الحلاوة، والعنب، والبطيخ، والخيار، وممّا يؤكد أَنَّ لها صبغة فلاحية منتجة للقمح، وجود عدّة أرحية بها[2].

يُستفاد من هذا الوصف الذي جاء متأخر من الناحية الزمنية، يؤكد لنا شيئا وهو أَنَّ مدينة تلمسان على ما مرَّ بها من أزمات مختلفة، بقيت محافظة على شيء من رغد العيش.

الفرع الثاني: الحالة الاجتماعية

- **الوصف العام للمجتمع التلمساني:**

كان من الطبيعي أن تتأثَّر حياة الناس الاجتماعية خصوصا بالحالة السياسية في أي بلد إسلامي وحتى غيره من بلدان المعمورة، وهذا راجع لارتباط المحكوم بالحاكم في هذا الجانب ارتباطا وثيقا، فالحياة الاجتماعية تتلون بألوان الحياة السياسية، لذلك فقد عرف المجتمع بعض مظاهر القلق والفوضى والاضطراب وقلة الأمن.

---

(1) أحمد المقري، نفح الطيب، (5/205).

(2) ينظر: ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، (2/20-21).

فالمتمعّن لموضوع النوازل يجدها تَطْرُقُ كثيرا مشاكل سياسية واجتماعية خطيرة، كان مجتمع القرن التاسع يعاني منها، ومن ذلك اللصوصية والظلم والغصب والضرار، وتهريب السلاح، والمصادمات الجماعية، والأوبئة والمجاعات ونحوها؛ وهي الدوافع التي أرغمت الناس على مغادرة منازلهم وأوطانهم، فالحروب والغارات لم تسمح للفلاحين بالقيام بزراعة الأرض وتوفير الإنتاج وانعدام الأمن، وتراخي قبضة السلطان، جعلت الناس يفتقدون العدل في الحكم، ويعتمدون على أنفسهم في نيل حقوقهم، وهكذا أصبح العلماء والقضاة هم الذين يقومون بالسهر على تنفيذ القانون، وأَنَّى لهم ذلك في مجتمع يسوده الفساد والاضطراب[1].

فالدواوين التي جمعت فتاوى العلماء ونوازل الناس، أمدت المفتي بما يحتاجه لظروفه الطارئة، وأثْرَت البحث العلمي والدراسات التاريخية بمادة غزيرة عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ينبغي أن يهتم بها المؤرخون وعلماء الاجتماع وغيرهم[2].

ويصف الإمام ابن مرزوق الحفيد في رسالة تحوي إجابة عن سؤال بعث به إلى الفقيه يحيى المازوني يلخّص ما وصل إليه حال المغرب الأوسط قائلا: "الحمد لله. جوزيتم خيراً أيها البحر الزخار، وبقية العلماء النظار، في تلكم الأصقاع والأقطار. ولولا وجود مثلكم فيها لخلت تلكم الديار، وصارت إلى ما صارت إليه جهاتها كالقفار، فجِدُّوا فيما أنتم فيه غاية الاجتهاد، فإنه في هذا

(1) ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (43/1).
(2) ينظر: ابن زكري، غاية المرام في شرح مقدّمة الإمام، (121/1).

الزمان خصوصاً من أفضل الجهاد. ولقد حركت أبحاثكم منا قرائح جامدة، وأيقظت من سنة النوم والكسل هممًا راقدة، وقالتْ أبقي في أرضنا مَنْ له مِنْ مثل هذه الفوائد عائدة. أعانكم الله على ما أولاكم، وحفظكم وتولاكم."[1]

هذا لا يعني أَنَّ الاستقرار والأمن كان منعدمين تماما؛ لما فيها من المنشآت كالقصور والدور، والنشاطات المختلفة العلمية منها والعملية، ممّا يدل على أَنَّ هناك نوع من الاستقرار.

فالظاهر أَنَّ ثمة إفراطا من جهة، وتفريطا من جهة أخرى، فَمَا من شك أَنَّ تلك الأزمات السياسية والفتن الداخلية، قد أثرت على الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ولكن لا يمنع ذلك من وجود فترات يسود فيها الأمن، ويُعُمُّ فيها الرخاء، وتصلح شؤون النَّاس[2].

- **التركيبة البشرية للمجتمع التلمساني:**

اختلفت آراء الدارسين للتركيبة البشرية من حيث التصنيف، بإدراجها ضمن طبقات المجتمع على أساس الوظائف، أم عناصر السكان على أساس الجنس البشري، فنحاول المزج بين التصنيفين قدر المستطاع.

أولا: طبقات المجتمع:

ذكر الحسن الوزان أَنَّ جميع أهل تلمسان ينقسمون إلى أربع طبقات؛ الصُنَّاع، والتجار، والطلبة، والجنود:

---

(1) الونشريسي، المعيار المعرب، (466/4).

(2) ينظر: ابن زكري، غاية المرام في شرح مقدّمة الإمام، (120/1).

التجار: أناس منصفون، يحرصون على أن تكون مدينتهم مزودة بالمؤن على أحسن وجه، وهم وافروا الغنى نقودا وأملاكا.

الصنّاع: أناس أقوياء، يعيشون في مُتعة وهناء، ويحبون التمتع بالحياة.

الجنود: هم جنود الملك، كلهم أناس ممتازون، يتقاضون أجرة ملائمة للغاية إلى حد أَنَّ أقلهم رتبة ينال شهريا ثلاثة مثاقيل بسكتهم.

الطلبة: هم أفقر الناس؛ لأَنَّهم يعيشون عيشة بئيسة في مدارسهم، لكن عندما يرتقون إلى درجة فقهاء يُعيَّن كل واحد منهم أستاذا، أو عدلا، أو إماما[1].

ثانيا: عناصر السكان:

يبدو أَنَّ الأصول العرقية لعناصر سكان مدينة تلمسان كانت متشعبة، بحيث يصعب الإلمام بكل مكوناتها، ويعود السبب في ذلك إلى نقص الوثائق من جهة، وإلى التمازج الذي حدث بين السكان الأصليين من البربر، وبين الأجناس الأخرى التي حلّت بين منذ الفتح العربي الإسلامي، فضلا عن جنسيات مختلفة من أوربا، ويهود، وغيرهم[2].

لذا فالمجتمع التلمساني في عهد بني عبد الواد، يتشكّل من فسيفساء أهمّها:

1. **البربر:** كان غالبية سكان مدينة تلمسان من قبيلة زناتة، التي تحوي بطونا كثيرة، لاسيما منها مغيلة وبنو يفرن، ومغرواة، فكانت هذه الأخيرة أوسع بطون زناتة، وأهل البأس والغلب منهم، ويعتبر البربر من السكان

(1) ينظر: ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، (2/21).

(2) ينظر: عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، (1/176).

الأصليين لتلمسان[1].

2. **العرب:** كان العنصر العربي قد حطَّ الرحال بمدينة تلمسان، منذ الفتح الإسلامي لها؛ وذلك في عهد ولاية الأمير عقبة بن نافع، حين اختط مدينة القيروان، حيث سيّر لها أبا مهاجر بن دينار فغزاها[2]. ولكن الجدير بالملاحظة أَنَّ معظم القبائل والجيوش التي قدمت بعد الغزو الأول كانت تتكون أغلبها من العرب اليمنية والمضرية، وأَنَّ التسمية الشامية والمضرية والحجازية والخراسانية، لا تعتبر بالضرورة انتماءات عِرْقِية بقدر ما هي انتماءات جغرافية[3].

ومع ظهور الدولة الزيَّانيَّة تأكّد انتشار العنصر العربي في تلمسان ومحيطها؛ بعقد تحالفات مع القبائل العربية القادمة من المشرق، كما فعل أبو حمو موسى بن يوسف حين تحالف مع عرب رياح وعرب بني عامر[4].

وبهذا شكلّت الهجرة العربية إلى بلاد المغرب درعا واقيا للدولة الزيَّانيَّة، حيث استعمِلوُا في الحروب ضد القبائل المعارضة من جهة، ولعبوا دور الجاسوس من جهة أخرى[5].

3. **الأندلسيون:** يعتبر العنصر الأندلسي من أهمّ العناصر، ممّا كان يشغله

(1) ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، (7/24و33).
(2) ينظر: حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص39- 40.
(3) ينظر: عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، (1/172).
(4) ينظر: أبو حمو موسى بن يوسف، كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك، ص13.
(5) ينظر: مختار حساني، تاريخ الدولة الزيَّانيَّة، (3/76).

في الجانب الفكري، والتأثير الاقتصادي والاجتماعي، فقد بدأت الهجرة مع ضعف المسلمين في الأندلس، وتوسع النصارى على حساب المراكز الإسلامية مثل قرطبة ومرسية، ممّا جعل سكان تلك المدن يتوجهون إلى غرناطة أو مدن دول المغرب الإسلامي كتلمسان[1].

وقد تواصل تدفق المهاجرين الأندلسيين على مدينة تلمسان إثر سقوط غرناطة، وزوال دولة بني الأحمر سنة 897هـ[2].

حينها ارتبطت تلمسان بمحلة غرناطة في مختلف الميادين السياسية والحضارية، حتى صار لها طابع أندلسي نلمسه بوضوح في مساجدها ومدارسها ومبانيها، وقد ساعد على تدعيم هذه الروابط، أَنَّ معظم ثغور الدولة الزيَّانيَّة كانت عامرة بالجاليات الأندلسية من قديم؛ بل إِنَّ بعضها كان من بنائهم[3]، كهنين التي تقابل ألمرية من الأندلس ووهران في شرقي تلمسان بشمال قليل، على مسيرة يوم من تلمسان، ومستغانم تقابل دانية من الأندلس[4].

وهناك عناصر أخرى سكنت مدينة تلمسان كالأغزاز، والأعلاج أو الصقالبة، والسود، وكذلك أصحاب الديانات الأخرى كالمسيحيين الأوربيين، واليهود، كلّ هذه الأطياف على اختلاف أشكالها وألوانها ودياناتها، شكلّت فسيفساءً حقيقية، ساهمت في تطور تلمسان، والنهوض بحضارتها.

---

(1) ينظر: المرجع نفسه، (77/3).

(2) ينظر: أحمد المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، (65/1).

(3) أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص199.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، (150/5).

المطلب الثالث
الحياة الدينية في عصر الإمام ابن مرزوق الحفيد

في ظل هذه الأجواء السياسية التي كان يسودها القلق والاضطراب، واتضاح قمة الثراء الاقتصادي، حيث اختل التوازن الاجتماعي لصالح الأثرياء والتجار، وصارت اعتبارات تقسيم الأفراد، وتحديد مركزهم في المجتمع بناءًا على درجة ثرائهم، وأضحى المال أساس الوجود، ممّا أدّى بالنّاس إلى البحث عن أسباب الطمأنينة والسكينة، والتزود بالراحة النفسية، فظهرت أفكار تدعوا إلي عيش حياة الزهد في الدنيا والعزلة، والانقطاع للعبادة[1]، ولكن ما يؤسَف له أَنَّ بعض المُنْدَسِّين من أدعياء الضلال والأهواء استغلوا هذا الوضع فأفسدوا على أهل التصوف السليم المبني على الكتاب والسنّة.

يذكر النَّاصري الأمور التي وُجِدت في هذا العصر قائلا: "...ومنها ظهور الأولياء وأهل الصلاح من الملامتية، وأرباب الأحوال والجذب، في بلاد الشرق والغرب، لكنّه انفتح به للمتسورين على النسبة وأهل الدعوى، باب متسع الخرق، متعسّر الرتق، فاختلط المرعى بالهبل، وادّعى الخصوصية من لا ناقة له فيها ولا جمل، وصعب على الناس التمييز، حتى بين البهرج والإبريز، لاسيما العامي الغمر."[2]

(1) ينظر: الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/12 و13 الميلاديين، ص91-92.

(2) الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (4/163- 164).

يقول الميلي: "...وفي القرن التاسع انتشرت بالمغرب الطريقة اليوسفية؛ المنسوبة إلى الشيخ أحمد بن يوسف الهواري وطنا الوابودي نسبا المليانى وفاة، كان في حياته ممَّن يُعتقد فيه الصلاح والخير، يلقن الأسماء للعامة والنساء، وكان أَشَدُّ أصحابه غلوا فيه رجلا يدعى ابن عبد الله ادّعى فيه النبوة، وتابعه الأجلاف من البوادي، وأهل الأهواء من الحواضر."[1]

كان ملوك الدولة الزيَّانيَّة[2] يحتفلون بالمواسم الدينية كالمولد النبوي الشريف، وليلة السابع من مولده ﷺ الذي يخصونه فوق سائر الأعياد، وفي هذا يقول صاحب كتاب أزهار الرياض: "وكان السلطان أبو حمو موسى بن يوسف يحتفل لليلة مولد رسول الله ﷺ غاية الاحتفال، كما كان ملوك المغرب والأندلس في ذلك العصر وما قبله يعتنون بذلك، ولا يقع منهم فيه إغفال...على أَنَّ بعضهم قد خرج في ذلك إلى حدّ الإسراف والغلو؛ وكلٌّ يعمل على شاكلته."[3]

فيُستنتج من هذا الكلام أَنَّ الاحتفال كان يلقى اهتماما كبيرا من ولاة الأمور، وسائر طبقات المجتمع، حيث اعتاد الناس الاحتفال بتلك المناسبة بإيقاد الشمع، والتزين بما حسن من الثياب، بحيث اعتاد الرجال والنساء الاجتماع في هذه المناسبة، وهو ما أنكره الفقهاء واعتبروه من محدثات البدع

(1) الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، (2/499).

(2) أمثال أبي حمو موسى الثاني، وأبي تاشفين الثاني، وأبي مالك عبد الواحد، وأبي الحجاج يوسف بن أبي حمو، وأبي زيان محمد بن أبي حمو وغيرهم.

(3) أحمد المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، (1/243).

التي يجب قطعها[1].

وفي هذا الصدد يورد صاحب المعيار المعرب فتوى للإمام ابن مرزوق الحفيد بإنكاره الإسراف في ليلة المولد النبوي الشريف بقوله: "... منها إيقاد الشمع ليلة مولد النبي ﷺ وسابعه، وما في ذلك من أنواع المفاسد. وقد تصدى لتغيير ذلك وشدة النكير فيه شيخ شيوخنا الشيخ المحصل العالم أبو عبد الله سيدي محمد بن مرزوق، برد الله ضجيعته، وأسكنه جنته، فانقطعت تلك المفاسد من تلمسان طول حياته، ثم عادت بموته : بل زادت."[2]

ويبدو أَنَّ الصراع قد اقتصر على الطبقة المثقَّفة المستنيرة، وقد تزعم السلفية الشيخ الحافظ إمام تلمسان في عصره أبو عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد؛ دفين تلمسان، وهو ينحدر من بيت عريق في العلم والثقافة، وقاد أنصار المتصوفة قاضي تلمسان قاسم بن سعيد العقباني، الذي ينحدر من بيت تلمساني من أصل أندلسي، وكان قد خالف الحفيد في فتواه وعارضه في رأيه وألَّف كتابا في هذا الموضوع بعنوان (النصح الخالص في الرد على مدعى رتبة الكامل الناقص) في سبعة كراريس، وجعل من هذا الكتاب حجة للرد عليه وعلى المتصوفة.

(1) ينظر: كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، ص44.

(2) الونشريسي، المعيار المعرب، (471/2).

وقد استمر الجدال بين السلفية والمتصوفة قائما إلى عهد الإمام محمد بن يوسف السنوسي المتكلّم الأشعري الشهير بتآلفه في علم التوحيد، والذي أيَّد فتوى القاضي قاسم بن سعيد العقباني وناصر شيعته وألَّف كتابا في هذا الصدد سمَّاه (نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير) ساند فيه العقباني وأيده كل من شيخيه عبد الرحمن الثعالبي والشيخ الفقيه الحسن أبركان الراشدي[1].

ومع ذلك وقع خلاف شديد بين السلفيين والمتصوفين خلال القرن التاسع ولاسيما تلمسان، وكان الإمام ابن مرزوق الحفيد هو الذي تَزَعَّم الاتجاه السلفي بينما عارضه معاصره قاسم العقباني، وكلا الرجلين مشهود لهم بالعمق في العلوم والاجتهاد في الرأي، ولما كان تيار العصر يندفع نحو التصوف، فإنَّ سلفية ابن مرزوق وجدت نفسها في أقلية، بينما انتصر عدد من علماء العصر البارزين أمثال محمد بن يوسف السنوسي إلى جانب قاسم العقباني[2].

(1) ينظر: عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، (2/411).

(2) ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (1/52-53).

المطلب الرابع
الحياة العلمية والفكرية في عصر الإمام ابن مرزوق الحفيد

لا ترتبط الحياة الثقافية عامة والعلمية خاصة كثيرًا بما يجري من أحداث سياسية، فقد تنتهي الدولة سياسيا لتقوم مقامها دولة أخرى، ولكن بالمقابل تظلُّ الحركة العلمية مستمرة غير متأثرة بالأحداث.

ولكن رغم الصراع المرير الذي احتدم بين دويلات المغرب العربي، ورغم الحروب التي لم تكن تنتهي حتى تبدأ من جديد، فإنَّ القرن الثامن الهجري شهد مُفارقات عجيبة وهي نهوض حركة علمية متقدمّة، وإنتاجا ثقافيا كبيرا، حيث ازدهرت العلوم الإسلامية وكثُر الإقبال عليها، ولاسيما أَنَّها كانت تمكّن الطلبة من وظائف هامة في القضاء وفي الدواوين الإدارية وغير ذلك من المناصب التي كان الناس يتهافتون عليها. وإلى جانب العلوم الإسلامية، انتشرت علوم الفلك والرياضيات والطب والكيمياء وغيرها انتشارا كبيرا، وحظيت الدراسات اللغوية وما يتفرّع عنها من العلوم والآداب بإقبال طلبة العلم، وزاد الاهتمام باللغة والبلاغة من طرف العلماء.

ويلخّص أبو القاسم سعد الله[1] غزارة تواجد العلماء وكثرة التصانيف في

(1) هو بلقاسم سعد الله بن أحمد بن محمد القماري السوفي الجزائري، ولد عام 1930م بقرية البدوع بضواحي قمار بوادي سوف، نال بجامع الزيتونة شهادة الأهلية 1951م، ثم شهادة التحصيل 1954م، وبعدها نال شهادة الدكتوراه عام 1965م بجامعة مينسوتة بالولايات المتحدة الأمريكية، مارس التعليم داخل الوطن وخارجه، كما شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات والملتقيات، كما اشتغل عضوًا في عدّة مجالس علمية، وأتقن عدّة لغات أجنبية كالانجليزية والفرنسية والإسبانية، كان شاعرًا، والأكيد أَنَّه كان موسوعة علمية بحقّ حتّى لقّب بشيخ المؤرّخين؛ له تصانيف عديدة وبديعة منها: "تاريخ الجزائر الثقافي" =

القرن التاسع بقوله: "ويعتبر إنتاج القرن التاسع من أوفر إنتاج الجزائر الثقافي، ومن أخصب عهودها بأسماء المثقفين (أو العلماء) والمؤلفات، وفي إحصاء سريع أجريته لأسماء العلماء المنتجين خلال القرن التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر، وجدت أَنَّ عددهم في القرن التاسع يفوق أعدادهم في القرون الباقية."[1]

وكان من العلماء الذين برزوا في هذا الشأن الإمام ابن مرزوق الحفيد، الذي كانت له دراية واسعة بالعلوم اللسانية من النحو والصرف والبلاغة والعروض والقوافي، والأدب والشعر، وله اهتمام بعلوم أخرى كالفلسفة والفلك والطب والحساب، وجُلُّ هذه العلوم ألَّف فيها[2].

ومما يؤكد هذا الكلام أَنَّ الإمام ابن مرزوق الحفيد عاش في مدينة تلمسان، ولا يخفى أَنَّ تلمسان دار ثقافة وعلم، حيث كانت تمتاز بموقعها الرائع وجمالها الباهر وحضارتها الساحرة؛ إذ تمثل إحدى أهم العواصم التاريخية والحضارية في المغرب الاسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، ولم تزل تلمسان العاصمة تحافظ على حضارتها وثقافتها منذ الفتح الاسلامي، وكذلك كانت تتوسَّط حاضرتين هما حاضرة فاس وحاضرة مازونة، فاعتُبرت من بين أهم مراكز الاشعاع الثقافي؛ ويكفي دليلا ما أوردته كتب

= و"الزمن الأخضر"، توفي 14 ديسمبر 2013م. (ينظر: جيلالي بلوفة عبد القادر، المؤرخ أبو القاسم سعد الله وتاريخ الحركة الوطنية الجزائرية من الكتابة إلى التنظير، ص69-77؛ ومحمد زاهي، أبو القاسم سعد الله ومساهمته في الحفاظ على التراث الثقافي الجزائري، ص79-87).

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (39/1).

(2) ينظر: محمد بن مرزوق الحفيد، المنزع النبيل، (119/1).

التراجم والرجال من الأعلام التلمسانيين، ليس في علوم الشريعة فقط؛ بل في كل ميادين العلم والمعرفة.

قال ابن خلدون: "ولم يزل عمران تلمسان يتزايد وخطّتها تتسع الصروح بها بالآجرّ والفهر تعلى وتشاد إلى أن نزلها آل زيان واتخذوها دارًا لملكهم، وكرسيًا لسلطانهم، فاختطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب.

ورحل إليها الناس من القاصية ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع، فنشأ بها العلماء واشتهر فيها الأعلام. وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية."[1]

فرغم الظروف السياسية والاجتماعية المتردية التي مرّت في عصر الإمام ابن مرزوق الحفيد، إلا أَنَّ هناك عوامل تظافرت لجعل الحياة من الناحية العلمية تكون أفضل من الحالتين السالفتي الذكر نذكر منها:

أولا: عناية السلاطين والأمراء بالعلم والعلماء:

لا أحد ينكر ما للأمراء من دور كبير في تشجيع العلم والنهوض به؛ فكم عصرًا ارتفع فيه العلم، وكثُر انتاج العلماء فيه بسبب أمرائه، وقد قيل قديما: "النّاس على دين ملوكهم."

فإِنَّ ملوك الدولة الزيَّانيَّة رغم تنافسهم على السلطة واشتغالهم بالحروب، ومواجهة الفتن الداخلية، فإنهم لم يعدموا من شرف تشجيع العلماء على التدريس

(1) عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، (105/7).

والإنتاج والتأليف[1]، حيث إنَّ بعض السلاطين كانت لهم إرادة قوية ورغبة شديدة وجهود مستمرة، امتازوا بها في ميدان الحركة الفكرية بصفة عامة، ورعاية معتبرة للفنون والآداب والعلوم الشرعية على وجه الخصوص[2].

وكان السلطان يغمراسن أوّل من دشّن الحركة الفكرية والتعليمية بتلمسان، ورغّب رجال العلم في القدوم إلى عاصمته، وكان يبحث عنهم أين ما كانوا، كاستجلاب عالم زمانه الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي مع أخيه أبي الحسن، ويرتحل لزيارة الأولياء في مواضعهم، ملتمسا بركتهم، حيث أغدق عليهم الأموال والهدايا والجرايات، وأعلى منزلتهم، وشجّعهم على التدريس والتأليف، وجعل بعضهم قلمه الأعلى[3]، ولا أدّل على اعتنائه بالعلم وأهله، حين وجد أحد المهْتمين بالكتب، التي تعرض بسوق الكتب داخل تلمسان مصحف عثمان بن عفان ﷺ الذي كان مع المرابطين ثم انتقل إلى الموحدين، فسارع إلى إخبار السلطان به، فبادر يغمراسن بالأمر بأخذه، وأمر بصونه، والاحتياط عليه، والقيام به، فقد طال بحْث ملوك الأندلس ومراكش وتونس عليه، وماتوا كلّهم متأسفين عليه[4].

وقد سار ملوك بني زيان على درب مؤسسها يغمراسن، حيث عملوا على تثبيت الأسس الثقافية والحضارية؛ إذْ شجّع ابنه السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن العلوم النقلية والعقلية، واحتفظ بالعلماء والفقهاء

(1) ابن زكري، غاية المرام في شرح مقدّمة الإمام، (1/127).
(2) ينظر: عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، (2/319).
(3) ينظر: التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص124-127.
(4) ينظر: المصدر نفسه، ص124.

والادباء ممّن كانوا في عهد أبيه، وأضاف مجموعة من الأدباء والشعراء من بينهم الشاعر الصوفي أبي عبد الله محمد بن عمر بن خميس، الذي جعله كاتب إنشائه[1].

أمّا السلطان أبو حمُّو موسى الأول، صاحب الآثار الجميلة والسيرة الحسنة، فقد جعل مدينة تلمسان منارة للعلم يقصدها العلماء وأهل الفكر والنظر، حيث ورد عليه الفقيهان أبي زيد وأبي موسى ابنا الإمام الذين قرّبهما إليه وأكرم وفِادَتهما[2].

كما أَنَّ السلطان أبو تاشفين الأول أكرم نُزُلَ الإمام الفقيه أبي موسى عمران المشذالي[3]، أَعْرَف أهل عصره بمذهب مالك، ثمّ ولّاه التدريس بالمدرسة التي أسّسها[4]، واشتهر في عهده كذلك القاضي أبي محمد بن منصور بن هدية، الذي تولى قضاء الجماعة بتلمسان، وكتابة السير والخطابات في المسجد الجامع[5].

---

(1) ينظر: يحي بن خلدون، بغية الرواد، (10/1).

(2) ينظر: محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، ص265.

(3) هو عمران بن موسى المشذالي البجائي التلمساني، أبو موسى، ولد عام 670هـ، فقيه مالكي، أخذ عن أئمة منهم صهره الناصر المشذالي، وعنه أخذ جماعة منهم الإمام المقري، له: "رسالة في اتخاذ الركاب من خالص الفضة" و"فتاوى كثيرة نقل الكثير منها الونشريسي في معياره"، توفي سنة 745هـ. (ينظر: الونشريسي، وفيات الونشريسي، ص39؛ والتنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص352).

(4) ينظر: التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص141-142.

(5) ينظر: يحي بن خلدون، بغية الرواد، (133/1).

وحرص أبو تاشفين الأول على إقامة المجالس العلمية في قصره، وحضورها شخصيا، وكان من العلماء المتفوّقين في مجلسه في تلك المناظرات الفقيه البجائي أبي موسى عمران بن موسى المشذالي، خاصة في ميدان الفقه وأصوله[1].

أمّا سلطاني بني مرين أبو الحسن وابنه أبوعنان، حين استيلائهما على تلمسان، قاما ببناء مدرستين، وجلبا إليها الأساتذة، وخصا طلابها بالمنح والأرزاق.

ويصف ابن مرزوق الخطيب أبا الحسن المريني بقوله: "فكان ﷺ أبرّ الناس بأهل العلم، وأعرفهم بقدرهم، استخلصهم لنفسه، وجمعهم من سائر بلاده في حضرته، وجعلهم من خواص أهل مجلسه، وأجرى عليهم الجرايات التي تكفيهم حضرا وسفرا، فاجتمع بحضرته أعلام، ثم ضم لهم من كان بتلمسان وأحوازها حين استيلائه عليها."[2]

ومع قدوم أبي حمو موسى الثاني لسُدَّة الحكم، الذي يُعَدُّ مجدّد الدولة الزيَّانيَّة، عاد النشاط العلمي والثقافي إلى سابق عهده، بل كان عصره من أزهى عصور الدولة الزيَّانيَّة، وما تميّز به عن باقي السلاطين كونه أديبا وكاتبا وشاعرا.

قال أحمد المقري عنه: "وكان السلطان أبو حمو رحمه الله تعالى يقرض الشعر، ويحبّ أهله، وله تأليف حسن في السياسة، صنّفه برسم ولي عهده أبي

(1) ينظر: أحمد المقري، نفح الطيب، (218/5).

(2) محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، ص260.

تاشفين سمّاه: نظم السلوك في سياسة الملوك."[1]

وكان : محبًّا ومعظِّما ومكرما للعلماء، ويجعلهم محلّ ثقته، بإرسالهم للأمور المهمّة، ويحضر مجلس العلم جالسا على حصير، تواضعا للعلم وإكراما له، ويقيم ليلة المولد ويحتفل لها بما هو فوق سائر المراسم، ويعتبر من أوائل السلاطين الذين أقاموا هاته الليلة[2].

يقول عنه ابن عمار: "كان أوحد الملوك في استجماع خصال الفضل علما وأدبا وجودا وشجاعة وغيرها من خصال البر، أمَّا العلم فقد كان طالبا له في صغره، معتنيا به في كبره، وكان في أيام دولته مكرما للعلماء، مجلّا لهم."[3]

أمّا عن استقدامه للعلماء، فقد حاول مع العلامّة عبد الرحمن بن خلدون، حيث كتب له بخط يده: "الحمد لله على ما أنعم، والشكر للَّه على ما وهب، ليعلم الفقيه المكرّم أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون حفظه الله، أَنَّك تصل إلى مقامنا الكريم بما خصّصناكم به من الرتبة المنيعة، والمنزلة المنيعة، وهو قلم خلافتنا، والانتظام في سلك أوليائنا، وقد أعلمناكم بذلك، وكتب بخط يده عبد الله المتوكل، موسى بن يوسف لطف الله به وخار له."[4]

بعدما تمَّ له التزود بالعلم والاعتناء بالعلماء ونشر الفضيلة، أنشأ مكتبته بالجامع الكبير التي على يمين المحراب بالمكان الذي لا تزال به الخشبة، وأَنَّ الكتابة المحفورة التي فوق بابها ودونك نص ما هو مكتوب عليها: "أمر

(1) أحمد المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، (249/1).
(2) ينظر: التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص161-180.
(3) ابن عمار، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، ص166.
(4) عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، (563/7).

بعمل هذه الخزانة المباركة السلطان أبو حمو بن الأمراء الراشدين، أيدَّ الله أمره، وأعزّ نصره، ونفعه بما وصل ونوى، وجعله من أهل التقوى، وكان الفراغ من عملها يوم الخميس ثالث عشر لذي القعدة عام سبعمائة وستين 760هـ"، وكانت هذه المكتبة تزخر بالكتب المختلفة في جميع العلوم والفنون، ولم تفقد تلك الكتب إلا حوالي عام 1266هـ، حين قامت مصلحة الآثار التاريخية الفرنسية بترميم الجامع الكبير بعد تغيير طرفيه الجنوبي والشمالي[1].

وعلى نهجه سار ولده السلطان أبو زيان محمد، فقد كانت له عناية بالعلم والتأليف، إذ كان يُعدّ من العلماء والشعراء، حيث ألّف كتابا نحى فيه منحى التصوف سمّاه "كتاب الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمّارة"، وكذلك نشَّط العلوم والآداب؛ ونسخ بيده نُسَخًا من القرآن الكريم، ونسخة من صحيح البخاري، ونُسَخًا من كتاب الشفا لأبي الفضل عياض، فحبسهم في مكتبته التي أنشأها بالمسجد الأعظم بتلمسان، كما اهتم بالمناظرات العلمية بين العلماء التي تجري داخل قصره، فلم تخل من مناظرة، ولا عمرت إلا بمذاكرة ومحاضرة، فلاحت للعلم في أيامه شموس، وأمّا الاحتفال بالمولد فكان يحييه كأسلافه من السلاطين[2].

استمرَّ سلاطين تلمسان على نفس الطريق من تشجيع وتوفير الأجواء للحركة الثقافية حتى إنَّ حفيد أبي حمو موسى الثاني السلطان أبو العباس أحمد المعتصم المشهور بالعاقل كان يعتني بالعلماء وبناء المدارس لهم كما فعل مع الولي الزاهد الحسن بن مخلوف الراشدي، حيث كان يكثر من زيارته،

(1) محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان، (89/1).

(2) ينظر: التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص211-212.

ويشاوره في كثير من أموره[1].

خلاصة: في ظل اهتمام السلاطين بالعلم والثقافة الفكرية، ولد الإمام ابن مرزوق الحفيد، ونشأ وترعرع واشتد عوده، فكانت كل الظروف مهيأة له للتحصيل والأخذ من العلماء الفضلاء الذين ازدان بهم عصره.

ثانيا: ظهور شخصية العلماء:

مكّن اهتمام السلاطين بالعلم وأهله من ظهور شخصيات وعلماء، كانوا قبلة تهوي إليهم أفئدة طلبة العلم من كلّ حدب وصوب؛ للنهل من علمهم وأدبهم، ومن أشهر علماء هذه الفترة:

- ❖ محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق الخطيب (ت781هـ)[2].
- ❖ علي بن محمد بن منصور الغماري بن علي التلمساني المعروف بالأشهب (ت791هـ)[3].
- ❖ عبد الله بن محمد بن أحمد بن علي بن يحي بن علي بن محمد الشريف التلمساني (ت792هـ)[4].
- ❖ أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق (توفي قبل 806 هـ)[5].

---

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص248.

(2) ستأتي ترجمته عند ذكر شيوخه.

(3) ستأتي ترجمته عند ذكر شيوخه.

(4) ستأتي ترجمته عند ذكر شيوخه.

(5) ستأتي ترجمته عند ذكر شيوخه.

❖ سعيد بن محمد بن محمد بن محمد العقباني التّجيبي التلمساني (ت811 هـ)[1].

❖ عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني (ت826 هـ)[2].

❖ نصر الزواوي التلمساني المالكي (ت826 هـ)[3].

❖ سليمان بن الحسن البوزيدي الشريف التلمساني (ت845 هـ)[4].

❖ الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعد المزيلي الراشدي المعروف بأبركان (ت857 هـ)[5].

❖ أحمد بن محمد بن زكري المانوي التلمساني (ت899 هـ)[6].

❖ عيسى الرتيمي المشهور بأم الزيان[7].

هذا غيض من فيض؛ ممَّن ولدوا وترعرعوا في تلمسان من الأعلام، أو قصدوها لطلب العلم فطاب لهم المُقام فاستقروا بها، أو لجؤوا إليها كرها إثر الفتن والمشاكل المختلفة التي كانت تعصف آنذاك بالمسلمين، فكان لجوؤهم هذا نعمة عليهم.

ثالثا: بناء المساجد والمدارس:

لا يمكن تصور إزدهار العلم إلا إذا انتشرت مراكز التعليم سواء في

---

(1) ستأتي ترجمته عند ذكر شيوخه.

(2) ستأتي ترجمته عند ذكر شيوخه.

(3) ستأتي ترجمته عند ذكر تلاميذه.

(4) ينظر في ترجمته: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص185.

(5) ستأتي ترجمته عند ذكر تلاميذه.

(6) ستأتي ترجمته عند ذكر تلاميذه.

(7) ينظر في ترجمته: القلصادي، رحلة القلصادي، ص98-99.

المساجد التي كانت منارات للعلم، أو المدارس التي اختصاصها التعليم، وكان من لطف الله عز وجل بالإمام ابن مرزوق الحفيد أن وُجِدت في حياته التعلُّميَّة والتعليمية، وحتى قبله مدارس ذات مستوى علمي كبير، شُيِّد أغلبها في عهد الدولة الزيَّانيَّة على فترات متتالية.

يقول الشيخ عبد الرحمن الجيلالي[1] في هذا الشأن: "ويذكر أهل الرحلة والسياحة أَنَّ عدد مساجد تلمسان في عهدها الزاهر أناف على الستين مسجدا."[2]

فالمساجد قبل تأسيس المدارس والزوايا؛ هي المؤسسة التي تستقبل الطلبة والمصلين، في حلقات دراسية داخل المسجد، أو في بعض الغرف الملحقة، أمَّا الكُتَّاب فهو مستقل عن المسجد في كثير من الأحيان، يخصص له بناية أخرى، أو غُرَف على شكل دكاكين، يكثر بها المعلمون لتدريس الأطفال بها، أو في مصطبات ومدرّجات ذات هندسة خاصة[3].

(1) هو عبد الرحمن بن محمد بن بوعلام الجيلالي الحسني، ولد في 09 فيفري 1908م ببولوغين في الجزائر العاصمة، فقيه، عالم، مؤرخ، أديب ومفكر جزائري، ومصلح، وإعلامي، تتلمذ على شيوخ كثر منهم: أبو القاسم الحفناوي وعبد الحليم بن سماية، اشغل عدّة وظائف دينية، وانخرط في النّاط الجمعوي فكان عضوًا بارزًا وفعّالا، له تصانيف بديعة وعديدة منها: "تاريخ المدن الثلاث" و"ذكرى الدكتور محمد بن أبي شنب" توفي في 12 نوفمبر 2010م بالجزائر العاصمة. (ينظر: بولمعالي النذير، العلامة عبد الرحمن الجيلالي؛ الشخصية الوطنية القومية، أكثر من قرن من العطاء، ص12-31؛ وبن الشيخ حكيم، عبد الرحمن الجيلالي من خلال مؤلفه تاريخ الجزائر العام، ص141-154).

(2) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، (2/251).

(3) عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، (1/145).

ومن أهم مساجد تلمسان:

1) المسجد الجامع بأجادير:

يعود تاريخ تأسيس هذا المسجد إلى دولة الأدارسة حين استيلائهم على تلمسان، حيث بناه الشريف إدريس الأول- مؤسس دولة الأدارسة- وأتقنه سنة 174هـ، وصنع فيه منبرا، وكتب عليه: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي ﷺ، وذلك في صفر سنة أربع وسبعين ومئة."[1]، ثم رممّه ولده وصنع فيه منبرا وزيّنه ووسّعه[2].

وفي عهد الدولة الزيَّانيَّة قام السلطان يغمراسن بترميمه وبناء صومعة له، فسئل أن يأمر بكتب اسمه فيها، فأبي وقال: "علم ذلك عند ربي."[3]

وقد اندثرت معالم هذا الجامع منذ قرون عديدة، إلا أَنَّ الحفريات التي أجريت في السنوات الأخيرة قد أثبتت أَنَّه يتألف من ثلاث بلاطات وأحد عشر رواقا، وأَنَّ محرابه ومنبره كانا في الرواق الأوسط من جهة القبلة، ولا تزال الحفريات جارية لاكتشاف ما بقي منه، وما كان حوله إلا مئذنته التي لا تزال قائمة- التي يفصل بينها وبين قاعة الصلاة الآن طريق عريضة لعلّ جزءا منها كان صحنا له- هي متأخرة عنه بناء ممّا يقرب من خمسة قرون[4].

---

(1) ينظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص21.

(2) المصدر نفسه، ص50.

(3) التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص125.

(4) محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان، (1/48).

2) الجامع الكبير (الأعظم) بتكرارت:

يعود تاريخ تأسيس هذا المسجد إلى دولة المرابطين، حين قام يوسف بن تاشفين سنة 474هـ ببناء مدينته الجديدة تكرارت، فأقام على إثرها المسجد، كما هو الشأن عند إحداث المدن الجديدة، وفي أيام ابنه علي بن يوسف بن تاشفين، أضاف للعمارة في تلمسان رونقا وجمالا؛ حينما جلب إليها سنة 530هـ مهندسين وعملة وفنيّين من الأندلس، قاموا بتجديد عمارة بعض المنشآت بالمدينة وتزيينها بالأشكال الفنية، بإعطاء أهمية بالغة للمسجد الجامع، الذي أضيفت عليه مسحة رائعة من الأشكال الفنية الجميلة[1]، وبعد سبعين عاما بنى يغمراسن صومعة له[2]، ويأخذ المسجد شكلا مستطيلا، طوله من الشمال إلى الجنوب 60 مترا، ومن الشرق إلى الغرب 50 مترا، أمَّا الصحن فمربّع الشكل تقريبا، على جانبيه من الجهة الشمالية دهليزان تقطعهما الصومعة[3].

3) مسجد سيدي أبي الحسن:

يعود تاريخ تأسيس هذا المسجد إلى عهد الدولة الزيَّانيَّة، حيث شيّده أبو سعيد عثمان سنة 696 هـ، بالقرب من المسجد الأعظم، وأمّا تسميته مسجد أبي الحسن؛ فهو نسبة إلى العلّامة أبي الحسن بن يخلف التنسي- الذي يُعدّ من أكابر علماء تلمسان في ذلك العهد- تخليدا لاسمه، وهذا المسجد هو الآن

---

(1) ينظر: بوزياني الدراجي، أدباء وشعراء من تلمسان، (125/1).

(2) ينظر: التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص125.

(3) ينظر: حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص367.

متحف المدينة[1]، أمّا عن المحراب الذي يحتويه فيعتبر من أجمل المحارب في العالم الإسلامي[2].

4) مسجد أولاد الإمام:

يعود تاريخ تأسيس هذا المسجد إلى عهد الدولة الزيَّانيَّة، حيث أنشأه السلطان أبو حمو موسى سنة 710هـ؛ ليكون بذلك ملحقا للمدرسة الشهيرة التي بناها لابني الإمام، ومع كلّ ما لحقه من التغيير، فإنَّه لا يزال قائما يشهد لمن بناه بإحكام في الصنعة، وإتقانها والنبوغ في ممارسة فن الهندسة المعمارية[3].

5) مسجد سيدي بومدين:

يعود تاريخ تأسيس هذا المسجد إلى عهد الدولة المرينية، حين بناه السلطان أبو الحسن المريني سنة 739هـ، أثناء إقامته بقرية العبّاد، حذاء ضريح أبي مدين شعيب بن الحسين، وتمَّ بناؤه على يدي أحد أفراد عائلة الإمام ابن مرزوق الحفيد[4].

6) مسجد سيدي الحلوي:

يعتبر كذلك من المزايا المرينية الحسنة بتلمسان عقب الإطاحة بنظام بني عبد الواد، والاستيلاء على المغرب الأوسط كلّه، حيث أسّسه السلطان أبي

---

(1) محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان، (70/1).

(2) ينظر: عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، (147/1).

(3) ينظر: محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان، (198/1).

(4) ينظر: محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، ص403.

عنان عام 754هـ، وترجع تسميته إلى الرجل الصالح أبي عبد الله الشوذي، الذي لقّب بالحلوي؛ لأنَّه صار يصنع الحلوى ويبيعها للصبيان[1].

7) مسجد سيدي إبراهيم المصمودي:

يعود تاريخ تأسيس هذا المسجد إلى عهد الدولة الزيَّانيَّة، بعد استرجاع السطان أبي حمو موسى الثاني تلمسان من بني مرين، حيث أسسّه سنة 765هـ، إلى جانب المدرسة اليعقوبية[2].

أمّا المدارس سنذكر أهمَّها حسب التسلسلي التاريخي، وهي على الشكل الآتي:

1) المدرسة القديمة أو مدرسة أولاد الإمام:

بناها السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول حوالي سنة 710 هـ، ذلك حين قدم عليه الإمامان عبد الرحمن أبو زيد وعيس أبو موسى الأخوين، بعدما كانا بالمغرب، فأكرم مثواهما، وابتنى المدرسة التي حملت اسمهما، وجعلهما مدرّسين فيها، وأنشأ جنْب المدرسة دارين ليسكن فيهما أولاد الإمام، أمّا عن موقعها؛ فهي داخل باب كشوط غرب مسجد ابني الإمام، الذي لا يزال قائما بحي المطمر قديما، أمّا المدرسة فقد اندثرت تماما[3].

2) المدرسة التاشفينية:

بناها السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الأول بين عامي (718 هـ-736 هـ) جنوب الجامع الكبير، وكان يبتهج بتجميل المدرسة كما يبتهج بتجميل

(1) ينظر: محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان، (260/1).
(2) ينظر: التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص179.
(3) ينظر: مختار حساني، تاريخ الدولة الزيَّانيَّة، (275/2).

قصره الخاص.

يقول التنسي عن اهتمام السلطان بالمدرسة اهتمامه بالقصر قوله: "...وحسن ذلك ببنائه المدرسة الجديدة العديمة النظير التي بناها بإزاء الجامع الأعظم. ما ترك شيئا ممّا اختصت به قصوره المشيدة، إلا وشيّد مثله بها."[1]

وعيّن بها مدرّسين من كبار العلماء أمثال أبي موسى عمران المشذالي وسعيد العقباني، فكانت هذه المدرسة إحدى عجائب الدنيا باعتبارها تحفة فنية نادرة.

ووصفها المقري في كتابه نفح الطيب أَنَّها من بدائع الدنيا، وذكر أَنَّه كان بصحن تلك المدرسة فوّارة بديعة الصنع، وأَنَّه كان منقوشا على دائرة الماء الأبيات التالية[2]:

انظر بعينيك بهجتي وسنائي .:. وبديع إتقاني، وحسن بنائي
وبديع شكلي، واعتبر فيما ترى .:. من نشأتي بل من تدفق مائي
جسم لطيف ذائب سيلانه .:. صاف كذوْب الفضّة البيضاء
قد حفّ بي أزهار وشْي نمقت .:. فغدتْ كمثل الروض غِبّ سماء

وقد هدّم الاستدمار الفرنسي هذه المدرسة من دون مراعاة للفن وللتاريخ سنة 1275هـ، ونقلت بعض زخارفها إلى متحف تلمسان وإلى متحف كلوني بباريس في فرنسا [3].

(1) التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص141.
(2) أحمد المقري، نفح الطيب، (47/6).
(3) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، (249/2).

3) مدرسة أبي مدين بالعباد:

بناها السلطان أبو الحسن المريني أيام استيلاء المرينيين على المغرب الأوسط بقرية العباد، قرب جامع سيدي بومدين، وكان ذلك سنة 748هـ، وتعتبر من المدارس التلمسانية التي لا تزال قائمة إلى الآن[1].

4) مدرسة وزاوية سيدي الحلْوي:

أسّسها السلطان أبو عنان فارس بن أبي الحسن المريني اقتداءً بأبيه سنة 754 هـ، بجانب مسجد الولي الصالح أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي الملقّب بالحلوي، وكان أحمد بن الحسن الغماري يأوي إليها[2].

5) المدرسة اليعقوبية:

أقامها السطان الزياني أبي حمو موسى الثاني شهر صفر سنة 765هـ، وأطلق عليها اسم اليعقوبية نسبة إلى والده أبي يعقوب، ودشّنها بنفسه، وحضر دروسها الافتتاحية التي كان يلقيها الشيخ أبي عبد الله الشريف التلمساني الذي عيّن سلفا من طرفه، ثم أجزل لها الأوقاف الكثيرة، وبعد أن تمَّ له ذلك نقل ضريح والده وعمّيه أبو ثابت وأبو سعيد، وكان موقع المدرسة شمال جامع الشيخ إبراهيم المصمودي، وكذلك كان من المدرّسين بها الشيخ ابن زاغوا، ولكن ما يؤسف عليه حقيقة أَنَّ هذه المدرسة اندرث كسابقاتها، ولكن لم تنطمس آثارها إلا عام 1277هـ[3].

---

(1) ينظر: محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، ص406.

(2) ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، (2/253).

(3) ينظر: ابن عمار، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، ص167.

وصفها صاحب كتاب زهر البستان في دولة بني زيان قائلا: "فافتتحت مدرسة مليحة البناء، واسعة البناء، بنيت بضروب من الصناعات، ووضعت في أبدع الموضوعات...."[1]

6) مدرسة الحسن بن مخلوف الراشدي (المعروفة بمدرسة أبركان):

بنى السلطان الزياني أبو العباس أحمد المعروف بالعاقل مدرسته الجديدة فيما بين عامي (834 هـ-865 هـ)، وأوقف لها الأوقاف الجليلة[2].

7) مدرسة منشار الجلد:

لم تتحدث المصادر ولا المراجع عن تاريخ هذه المدرسة ولا عن موقعها ولا عن مؤسسها، لكن الأستاذ محمد بن رمضان شاوش[3] قال: "الظاهر أَنَّ مدرسة منشار الجلد كانت بالقرب من مسجد سيدي البناء المتواجد بسوق الخرازين، أو سوق المنشر، لكن موقعها غير معروف بالضبط."[4]

أمّا ابن مريم فأورد عبارة دالة على وجود المدرسة: "...وكان وقت حر

---

(1) مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص336.

(2) ينظر: الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، (2/ 491).

(3) هو الحاج محمد بن رمضان شاوش، ولد بتلمسان في 7 جوان 1911م، تلقى دراسته الأولية بمسقط رأسه، ثم انتقل إلى مدينة الجزائر العاصمة؛ ليتابع دراسته العليا بالمدرسة الثعالبية سنة 1932م، درّس مادّتي اللغة العربية والشريعة الإسلامية بعدّة مدن، آخر منصب شغله أستاذ اللغة العربية بثانوية الدكتور ابن زرجب بتلمسان، تخصص في عدّة ميادين منها الفقه والتاريخ والأدب، وكان من مؤلفاته: "الدر الوقار من شعر بكر بن حماد التاهرتي"و"مجموعة أمثال وحكم وأراء شعبية باللهجة الجزائرية". (ينظر: خاتمة كتابه باقة السوسان).

(4) محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان، (1/ 214).

وقائلة، فجئت إلى مدرسة منشار الجلد...."[1]

وهكذا شُيِّدَت المدرسة لتكون أداة السلطة، لتكوين الأُطُر والعلماء المختصين في المذهب المالكي، مع الاهتمام بتدريس مختلف العلوم، ومن هذا المنطلق يمكن القول بأَنَّ المدرسة المغربية تنسجم مع الهدف العام الذي أنشئت من أجله المدرسة بالمشرق الإسلامي[2].

ويستشف من المصادر أَنَّ الأموال المستفادة من أحباس المدراس الزيَّانيَّة كانت تنفق في الأشياء التالية:

- ✓ تؤخذ منها أجور المدرّسين من العلماء وأجريات الطلبة.
- ✓ تخصيص جزء من المداخيل لإصلاح المؤسسة وشراء التجهيزات الضرورية من حصير وأفرشة وزيت وقود.
- ✓ منح أعطيات للأطر الإدارية المسيِّرة لشؤون المدرسة، والساهرة على خدمة الطلبة، إضافة إلى القائمين على نطاق البناء وحراستها[3].

رابعا: الرحلات العلمية:

لم يدع الإسلام وسيلة من الوسائل التي تفيد الإنسان إلا وحثَّه على فعلها، ومنها الرحلة؛ سواء أكانت للعلم أو الهجرة بالدين من أرض الشرك إلى أرض الإسلام، أو الحج، أو التجارة، ولقد حفل القرآن الكريم بالأمثلة العديدة لكل نوع من الأنواع المذكورة، أمّا عن الرحلة في طلب العلم فتعتبر رحلة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام أبرز مثال يمكن الاستدلال

(1) ابن مريم، البستان، ص230.

(2) ينظر: صالح بن قربة وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، ص140.

(3) المصدر نفسه، ص146.

به[1]، قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:64-66].

فهذه الآيات مثال واضح ضربه الله تعالى؛ لطلب العلم وبيان وجوبه، وقد فهم المسلمون معنى ذلك مبكرا، فسعوا لطلبه من مكان إلى آخر مع الحرص على لقاء العلماء والأخذ عنهم [2].

كما كان للدّين الإسلامي دور كبير في الحث على طلب العلم، والرحلة في سبيل التحصيل العلمي؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»[3].

إذًا فقد اهتم المسلمون منذ العهد النبوي بالرحلة في طلب العلم؛ لما تشكّله من أهمية بالغة في جانب التحصيل والتكوين العلمي، حيث أقبلوا على الارتحال والتنقل بين الحواضر والمدن رغبة في طلب العلم، فعُدَّت الرحلات العلمية من أهمِّ سمات الثقافة العربية الإسلامية.

وقد حمل العلماء المهاجرون علومهم وآدابهم وفنونهم إلى حواضر المغرب الأوسط، الذي كان يتلألأ فيه عديد المراكز الثقافية الهامة، خاصة تلمسان، حيث قاموا بتنظيم حلقات العلم والدروس داخل مساجد ومدارس المدينة المشهورة كالجامع الأعظم وغيره[4].

---

(1) ينظر: عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، ص29و33.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص34.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب: العلم، باب: فضل طلب العلم، حديث رقم: 2646، (385/4). قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن.

(4) ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، (248/2).

فكان لهذه النهضة العلمية بتلمسان أثرها البارز في استقطاب الطلبة إليها للاستفادة من مشايخها، ومن نماذج الرحلات العلمية إلى تلمسان يُذكر على سبيل المثال: رحلة القلصادي، والإمام أبي الفضل المشذالي، وأبي جعفر الوادي آشي[1].

أمّا عن الإمام ابن مرزوق الحفيد ورحلاته، فقد كان له نصيب وافر، على غرار علماء عصره، فقد قال ابن مريم عنه: "قطع الليالي ساهرا، وقطف من العلم زاهرا، فأثمر وأورق، وغرّب وشرّق، حتى توغّل في فنون العلم واستغرق."[2]

خامسا: الوراقة

يذكر القلقشندي أَنَّ الورق المغربي يعتبر ذا نوعية رديئة مقارنة بالورق الرومي، وبدرجة أقل الورق الشامي والمصري؛ كلّ هذا نتيجة مزاحمة الورق الإفرنجي الذي كان يستورد من البندقية، ممّا أدّى بالبعض إلى التوقف عن استعمال مثل هذا الورق للنّساخة[3].

وفي أوائل المائة التاسعة للهجرة يؤكد ابن مرزوق الحفيد أَنَّ مدينة فاس كانت لا تزال تنتج الورق، وفي نحو هذا التاريخ كان ينزل بمصر مغربي سوسي متفنن في هذه الصناعة، حيث كان يصنع بيده ورقا غاية في الدقة، وألَّف ابن مرزوق الحفيد في هذا الصدد رسالة سمَّاها "تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغد الروم "وهو يؤكد فيها انتشار الورق الأجنبي في أكثر الشمال الإفريقي بسواحله وصحرائه غير فاس والأندلس

(1) ينظر: ابن زكري، غاية المرام في شرح مقدّمة الإمام، (147/1).
(2) ابن مريم، البستان، ص208.
(3) ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، (477/2).

فإنهما ينتجان الورق العربي[1].

وكانت أُمْنِيَة الفقهاء والمُتديّنين والخطَّاطين، وطلاب العلم أن يتقرّبوا إلى الله بنسخ المصاحف ووقفها، حيث كان أحد أفراد عائلة الإمام ابن مرزوق الحفيد يشتغل بالقراءة وعلوم القرآن، وكان مصحفيا، يكتب المصاحف التي كان النّاس يتنافسون فيها على طريقة أهل الأندلس، حيث كان له خط غاية في الحسن والضبط، لا تبعد من خطّ الغَطُّوسيات، وكانت له في حداثته حانوت بالقيسارية ينسخ فيها القرآن، ويبيع السلع[2].

فهذا دليل واضح على أَنَّ الناسخين، والفقهاء التلمسانيين قد تأثروا بالخط الأندلسي خلال العهد الزياني؛ لاحتكاكهم بالأندلس وبالمهاجرين الأندلسيين[3].

أمّا عن قيمتها فقيل أَنَّها من أحسن الحِرَف؛ لما فيها من نشر العلم وتخليده، وقد احترف به كثير من المقتدى بهم[4].

سادسا: الكتب المعتمدة في التدريس

من العوامل المساعدة على تحديد مضمون المقرر الدراسي، الجو السياسي والمذهبي للدولة، إذ إِنَّ الدولة الزيَّانيَّة كانت تشجّع بطريق مباشر وغير مباشر العلوم التي تتلاءم مع مذهبها، حيث كانوا يشجعون الثقافة الأدبية كالشعر والتاريخ، ويتدخّلون أحيانا لمنع تدريس بعض العلوم التي تخالف

(1) ينظر: محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص57-58.

(2) ينظر: محمد بن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، ص148.

(3) ينظر: عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، (337/2).

(4) ينظر:محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص12.

المذهب المالكي[1].

كما يمكن استنتاج طبيعة الكتب التي كانت تُدرّس من خلال البرنامج الذي كان يلقيه الأستاذ على طلبته، وهو في الغالب عبارة عن كتاب يُقرَّر في المادَّة المدروسة، يتناول الشيخ شرحه بالطريقة الإلقائية كما كان معروفا آنذاك، حيث يقرأ أحد الطلبة فقْرة أو مقْطعا من الكتاب، ثم يتولى الشيخ الشرح، والطلبة يقيّدون ما يُلقَى عليهم، وعادة ما يفسح الأستاذ لتلاميذه مجال السؤال عمّا يشكل أمره، وإبداء ما عندهم من أراء[2].

أمّا الكتب فيقتصر على العلوم الشرعية وما يخدمها، بذكر مرجعين أو أكثر وفق التسلسل الآتي:

في التفسير: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي- تفسير الكشاف للزمخشري- الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي- أحكام القرآن لابن العربي وغيرها.

في القراءات والرسم القرآني: حرز الأماني ووجه التهاني؛ والشاطبية الصغرى، كلاهما لأبي القاسم الشاطبي- الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع لابن بري- نظم الخراز في رسم القرآن، وغيرها.

في الحديث النبوي الشريف: الموطأ للإمام مالك وشروحه- صحيحا البخاري ومسلم- مسند أحمد- كتب السنن الأربعة- سنن الدارقطني- مقدمة ابن الصلاح، وغيرها.

في العقيدة: الإرشاد في أصول الدين للجويني- أبكار الأفكار للآمدي،

(1) ينظر: عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، (2/348- 349).

(2) محمد بن مرزوق الحفيد، المنزع النبيل، (1/123- 124).

وغيرها.

في أصول الفقه والقواعد الفقهية: مفتاح الوصول للشريف التلمساني- مختصر ابن الحاجب الأصلي وشروحه- تنقيح الفصول للقرافي - الفروق للقرافي- قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام- الأشباه والنظائر للعلائي، وغيرها.

في الفقه المالكي: المدونة لسحنون- الواضحة لابن حبيب- مختصر ابن الحاجب الفرعي وشروحه- رسالة ابن أبي زيد القيرواني- مختصر خليل بن إسحاق الجندي وشروحه، وغيرها.

في اللغة وعلومها: ألفية ابن مالك- شرح التسهيل لابن مالك- شرح الإيضاح لابن أبي الربيع- كتاب سيبويه- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام- تلخيص المفتاح للخطيب البغدادي، وغير ذلك.

في التصوف والزهد: إحياء علوم الدين- منهاج العابدين؛ كلاهما لأبي حامد الغزالي- الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري- شرح الحكم العطائية لابن العباد- البردة للبوصيري وشروحها، وغيرها.

في المنطق: جمل الخونجي وشروحه- نظم الخونجي لابن مرزوق الحفيد، وغيرها.

المبحث الثاني
حياة الإمام ابن مرزوق الحفيد

وفيه المطالب الآتية:

المطلب الأول: اسم الإمام ابن مرزوق الحفيد ونسبه ومولده.

المطلب الثاني: نشأة الإمام ابن مرزوق الحفيد ورحلته العلمية.

المطلب الثالث: شيوخ الإمام ابن مرزوق الحفيد وتلاميذه.

المطلب الرابع: مكانة الإمام ابن مرزوق الحفيد العلمية وشهادة العلماء له.

المطلب الخامس: مؤلفات الإمام ابن مرزوق الحفيد

المطلب السادس: وفاة الإمام ابن مرزوق الحفيد.

المطلب الأول
اسم الإمام ابن مرزوق الحفيد ونسبه ومولده

وفيه الفروع الآتية:

الفرع الأول: اسمه الكامل

هو محمد[1] (السادس) بن أحمد (الثاني) بن محمد (الرابع) بن أحمد (الأول) بن محمد (الثاني) بن محمد (الأول) بن أبي بكر بن مرزوق

(1) من مصادر ترجمته: محمد بن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، ص145 * محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، ص54-55 * ابن مريم، البستان، ص201-214 * محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، (1/124-136) * محمد بن يحي القرافي، توشيح الديباج، ص154-157* التنبكتي، نيل الابتهاج، ص499-510 * محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، (1/252-253) * عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص290-292 * الشوكاني، البدر الطالع، (2/119-120) * القلصادي، رحلة القلصادي، ص96-98 * أحمد المقري، نفح الطيب، (5/420-433) *السخاوي، الضوء اللامع، (7/50-51) * الحجوي، الفكر السامي، (4/90) * الحضيكي، طبقات الحضيكي، (1/250) * عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، (3/97) * ابن قنفذ، شرف الطالب في أسنى المطالب، ص39 * الزركلي، الأعلام، (5/331) * وليد بن أحمد بن الحسين الزبيري وآخرون، الموسوعة الميسرة، (2/1956) * عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات، (1/523-525) * إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، (2/191-192) * التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، (2/136-144) * المجاري، برنامج المجاري، ص134-137 * المقريزي، درر العقود الفريدة، (3/227-228) * ابن حجر، المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، (3/263-264) * عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (1/14-17) * عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (3/14 هـ)، ص273 * عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر، ص298-302 * عادل نويهض، معجم المفسرين، (2/483-484) * ابن سودة، دليل مؤرّخ المغرب الأقصى، ص125 * أحمد الونشريسي، وفيات الونشريسي، (2/748).

العجيسي[1] التلمساني[2].

يعُرف بالحفيد أو بحفيد ابن مرزوق، وقد يُختصر إلى ابن مرزوق[3]؛ وهو لقبٌ لتمييزه عن جدّه المعروف بابن مرزوق الخطيب.

كنيته: أبو عبد الله، وأبو الفضل.

أمَّا كُنيته بأبي الفضل فيقول محمّد القرافي أَنَّه أوردها حينما كان بصدد التكلّم عن مولده عندما أراد شرح البردة التي سيُسميها فيما بعد إظهار صدق المودة: "قال: وأنا والحمد لله ممّن له منه ﷺ ذمّة التسمية باسمه الكريم وذلك أنّي على ما حدَّثَتْنِي به أمّي عائشة[4]، أنّي كنت ابن سنة ونحوها؛ وهي سنة ست وستين وسبعمائة أصابني مرض شديد أشرفتُ منه على الموت وكان من شأنها وشأن أبيها أَنَّه لا يعيش لهما ولد ذكر، فلما رأى ما بلغ بي من المرض غضب عليها وعلى من معها وقال: ألم أقل لكم لا تُسمّوه أبا الفضل، مالذي رأيتموه

---

(1) نسبة إلى القبيلة الجزائرية العظيمة "عجيسة" المُقيمة بجبال مدينة المسيلة شرقي صنهاجة وجنوب زواوة؛ أي في نفس المكان الذي أنشئت فيه القلعة الحمَّادية. (ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، 213/2).

(2) نسبة إلى تلمسان: قاعدة المغرب الأوسط؛ مدينة قديمة لها سور حصين، متقن الوثاقة، ولها نهر يأتيها من جبلها المسمَّى بالصخرتين، فيها مزارع كثيرة، وعليها روابط ومتعبّدات ومباني للصالحين. (ينظر: محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار 75/1-76).

(3) ينظر: محمد بن يحي القرافي، توشيح الديباج، ص 154؛ والسخاوي، الضوء اللامع، (50/7).

(4) هي عائشة بنت أحمد بن الحسن المديوني، من الصالحات، كانت لها قوة في تعبير الرؤيا؛ اكتسبتها من كثرة مطالعتها لكتب الفن، ألَّفت مجموعا في أدعية اختارتها، توفيت أواخر القرن 8 هـ. (ينظر: أحمد المقري، نفح الطيب، 430/5، 431).

له في الفضل سَمّوه محمد، ولا سمعت أحدا يناديه بغير محمد إلا فعلت به، يتوعده، فسمَّيناكَ محمدًا ففرَّجَ الله عنك، وهَأَنَا الآن قد جاوزتُ الأربعين."[1]

وأورد بعض من ترجم له أَنَّه لُقّب بذي اللحيتين[2].

الفرع الثاني: نسبه

تنتمي عائلة ابن مرزوق إلى قبيلة عجيسة التي كانت تقطن منطقة المسيلة[3]، وقلعة بني حماد بجبال المسيلة، وإقليم الزاب في شرق الهضاب العليا الجزائرية الشرقية، وفي وقت مبكر من صدر الفتح الإسلامي هاجرت هذه العائلة إلى مدينة القيروان[4]، واستقرت بها، ومن ثمَّ عاودت الهجرة نهاية القرن الخامس الهجري من القيروان إلى تلمسان بعد أن زحف عرب بني

(1) محمد بن يحي القرافي، توشيح الديباج، ص156.

(2) ينظر: الشفشاوني، دوحة الناشر، ص30.

(3) مدينة عتيقة في طرف نوميديا، تحيط بها أسوار جيدة عتيقة من بناء الرومان، كانت المدينة في قديم عهدها غنية زاهرة، ولكن العرب خرّبوها عند بداية عهدهم، تحيط بها جبال بني عباس، جعلها بطليموس عند ست وعشرين درجة وخمسين دقيقة طولا، وإحدى وثلاثين درجة وعشرين دقيقة عرضا. (ينظر: مارمول كربخال، إفريقيا، 2/381).

(4) هي مدينة عظيمة، جمعت بين طيبة الهواء وعذوبة الماء وجميع المحاسن؛ وهي أول مدينة عمرت في الأرض، وذُكر أَنَّ عقبة بن نافع الفهري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الذي اختطَّها وبنى مسجدها الأعظم؛ وهو المدعوا اليوم بجامع عقبة، وكانت كذلك عظيمة البناء، فيها الرخام الأبيض تماثيل وهي أحسن بلاد الله فواكه وزرعا، كانت تُضاهي بغداد، وهي من قواعد الإسلام الأربعة: بغداد والقاهرة والقيروان وقرطبة، وكان فيها من العلماء والفقهاء والشعراء والأدباء ما كان في البصرة، ذُكر أَنَّه كان فيها 4000 كرسي للعلم، و400 شاعر لا يمدحون ملوك ولا وزراء، وإنما يمدحون التجار. (ينظر: محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافية، ص109).

هلال[1] على شمال إفريقيا، واستقرت برباط العبّاد، بحيث اشتغلوا بالعلم والتدريس والثقافة والدين، وخاض البعض منهم غمار السياسة، وكان لهم شأن، فاستوطنوا تلمسان في أيام لمتونة، فنشأ بنوه بها وهم أهل صلاح وعلم ودين ووجاهة[2].

ويعتبر مرزوق الذي تنتمي إليه هذه الأسرة، أوَّل من استقر بتلمسان بعد أن هاجر إليها من القيروان، وكان رجل دين، وفلاح مالك للأرض واشتهر ابنه الأكبر بإخلاصه وتحمُّسه لخدمة ضريح أبي مدين شعيب الأندلسي[3] بالعبّاد، وعنه توارث أفراد أسرته هذه الوظيفة كقيمين على هذا الضريح وذلك الرباط[4].

---

(1) نسبة إلى هلال بن عامر؛ حيث كانوا في الجاهلية بنجد، ثم ساروا إلى مصر في حروب القرامطة، ثم ساروا إلى إفريقية فدخلوها سنة 443هـ، وأول من وصل إليهم أمير رياح موسى بن يحي الصنبري، أجازهم البارزي في خلافة المستنصر العبيدي لحرب المعز بن باديس، فعاثوا في الأرض فسادًا، وأقتسموا إفريقية سنة 446هـ، من بطونها: بنو قرّة وبنو نعجة الذين بين مصر وإفريقية، وتسكن بعض بطون بني هلال نواحي قسنطينة والزاب وبجاية، وكذلك بالمغرب الأقصى خلق كثير. (ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (2/371) (6/17-29).

(2) ينظر: يحيى بن خلدون، بغية الرواد، (1/48).

(3) هو أبو مدين شعيب بن حسين الأندلسي الأصل من أحواز إشبيلية، عارف محقق، ولد عام 520هـ، عاش حياة بسيطة في صباه، فكان زاهدًا في الدنيا عارفا بالله، أخذ عن خلق كثير منهم أبو الحسن بن حرزهم وأبو الحسن بن غالب، وممَّن أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي القلعي وأبو علي المسيلي، توفي بوادي يَسَّر سنة 594هـ، ودُفن بالعبّاد بتلمسان. (ينظر: ابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، ص11-20).

(4) ينظر: يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، (2/34).

يقول جدُّه ابن مرزوق: "وأمَّا النَّسبُ فرأيتُ بخط جدّي الأقرب، نفع الله به: العجيسي، وكذلك في رسوم قديمة، لاشك عندنا في ذلك، وعجيسة قبيلة من زناتة، معروف مكانها منها، وهم متفرّقون في بلاد المغرب من أقصى إفريقية إلى أقصى بلاد المغرب وبالأندلس[1] منهم جماعة، وقد ذكرهم ورفع نسبهم لقيس جماعة منهم، وهكذا كان يكتبُ عنها ابن عمّنا، وكان أحدَ الكُتّاب الكبار بمدينة تونس[2]، حاطها الله تعالى، فكان يكتب القيسي وكان والدي : يُعتبه على ذلك."[3]

ولقد حفل تاريخ هذه العائلة؛ أي عائلة ابن مرزوق، لمدَّة ثلاثة قرون بشخصيات مرموقة في العلم برزت واشتهرت بالتقوى ممَّا جعل منها ذات

---

(1) الأندلس بقعة كريمة، طيبة التربة، كثيرة الخيرات، بها المدن الكثيرة والقواعد العظيمة، وفيها معادن الذهب والفضَّة والنُّحاس، والأندلس آخر المعمور في المغرب، لأنَّها متصلة ببحر أُقيانس الأعظم الذي لا عمارة وراءه، وسميت جزيرة الأندلس؛ لأنَّها شكل مثلث وتضيق من ناحية شرق الأندلس، يحيط بها البحر من جميع جهاتها الثلاث، وهي تعتبر شامية في طيبتها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظم جناتها، صينية في جواهر معادنها، عدنية في في منافع سواحلها، وتعتبر كذلك دار جهاد وموطن رباط، قد أحاط بشرقيها وشمالها وبعض غربها أصناف أهل الكفر. (ينظر: الحِميَري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص32-33).

(2) هي مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على سائل بحر الروم، عمَّرت من أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها يقال لها قرطاجنَّة، ويحيط بسورها أحد وعشرون ألف ذراع، ليس بها ماء جار؛ إنَّما شربهم من آبار ومصانع يجتمع فيها ماء المطر، لاوماؤها ملح، وعليها محترث كثير، ولها غلَّة فائضة حيث فيه قرى كثيرة الزيتون والثمار والمزارع، وهي من أصح بلاد إفريقية هواء. (ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/60).

(3) ينظر: محمد بن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، ص145.

وضع اجتماعي وثقافي ممتاز في جميع بلدان المغرب العربي، وذلك باعتراف مؤرخين كُثُر[1].

وهاهي **شجرة نسب المرازقة**:

مرزوق العجيسي: استقر في تلمسان (أواخر القرن 5 هـ/11م)، فأنجب ولدًا سمّاه **أبوبكر بن مرزوق** (القرن 6 هـ/12م)، وأما أبوبكر فأنجب ولدين أحدهما سمّاه **محمد [الأول]**، والثاني سمّاه **محمد [الثاني]** (629/681 هـ-1231/1282م)، فمحمد الثاني رُزق بولدين كذلك، سمّى أحدهما **محمد [الثالث]**: الخطيب الأول في العبّاد (733 هـ/1332م)، وأمّا الآخر فسمّاه **أحمد [الأول]** (681/741هـ- 1282/1340م)، وهذا الأخير أنجب ولدين أحدهما سمّاه **أبو يحي** – سيُذكر أولاده في الآخر-، والآخر سمّاه **محمد [الرابع: الخطيب]** (711/781 هـ- 1311/1379م) فأُعطي هذا الأخير ولدين أحدهما سمّاه **محمد[الخامس]**، والآخر **أحمد [الثاني]** فأنجب ولدًا سمّاه **محمد [السادس: الحفيد]** (766/842 هـ-1365/ 1439م) فرُزق هذا الأخير أنثى وذكر؛ فأمَّا الأنثى فأسماها **حفصة** وأمَّا الذكر فسمّاه **محمد [السابع: الكفيف]** (824/901 هـ- 1421/1495م)، هذا الأخير أنجب ولدا سمّاه **أحمد [الثالث: حفيد الحفيد]**، وأمّا **أبو يحي** فقد رُزق بولد سمّاه **محمد**، ومحمد هذا رُزق بولد سمّاه **أحمد**، فتزوّج **أحمد بحفصة** فرُزقا بولد سمّاه

(1) ينظر: محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، ص17.

محمد [الثامن: الخطيب](كان حيا في 918 هـ/1512م[1].

فشيخنا ابن مرزوق الحفيد الذي نُترجم له، يُلَقَّبُ في شجرة العائلة بـ: محمد (السادس) بن محمد (الثاني).

الفرع الثالث: مولده

ولدَ سيّدُ العلماء الجلة، وإمام أئمة الملّة، وآخر السادات الأعلام، ذوي الرسوخ الكرام، بدر التمام، الجامع بين المنقول والمعقول سيدي محمد ابن مرزوق الحفيد: ليلة الاثنين الرابع عشر من ربيع الأول عام ست وستين وسبعمائة لهجرة الحبيب ﷺ، الموافق للعاشر من ديسمبر عام أربع وستين وثلاثمائة وألف ميلادي، بتلمسان المحروسة – أدامها الله حصنا من حصون الإسلام –؛ ذكر سيدي ابن مرزوق مولده عندما كان بصدد شرح البردة[2].

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص17.

(2) ابن مرزوق الحفيد، إظهار صدق المودة، مخ، ورقة 1و.

المطلب الثاني
نشأة الإمام ابن مرزوق الحفيد ورحلته العلمية

كان ممَّن اشتهر بالرئاسة والعلم والفضل من بيوتات الجزائر وأعيانها في هذا العصر بيت ابن مرزوق الذائع الصيت، بحيث تألق في سماء هذا البيت بُدُور وأقمار كان كوكبها الدرّي ونجمها الثاقب سيدي محمد بن مرزوق حيث نشأ في بيت علم ومعرفة[1]، حيث كانت بداية تعليمه على أيدي والده وأخيه وعمّه وغيرهم ممّن كانوا بتلمسان ويطول استقصاؤهم[2]، حيث بَدَت عليه علامات النُّبوغ منذ صغره فكان آية في الفهم والحفظ والطاعة جامعا بين المنقول والمعقول، والرواية والدراية[3]، محقّقا للعلوم مُطّلعا بإفراط على النُّقُول، قائما بالكمال على الفُنُون بأسرها، يأخذ من كلّ فن أوفر نصيب وراعى في كُلّ علم مرعاه الخصيب[4].

يقول عن نفسه: "اقتديت في ذلك بفعل جماعة من أئمتنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كابن عبد البر[5] وأمثاله، وإن كنتُ لست في طبقتهم ولا من سلف لي كمن سلف

---

(1) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، (2/212-213).

(2) ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص290.

(3) ينظر: ابن قنفذ، شرف الطالب في أسنى المطالب، ص39.

(4) ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص499.

(5) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، أبو عمر ، شيخ علماء الأندلس، ولد سنة 368هـ، أخذ عن خلق كثير منهم ابن الفرضي وأحمد بن عبد الملك بن هشام، وأخذ عنه خلق كثير منهم أبو عبد الله الحميدي وأبو عمر بن القاضي، له مؤلفات عديدة منها: "التمهيد"و"الكافي في الفقه"و"الدرر في المغازي والسير"، توفي بشاطبة في ربيع الثاني سنة 463 هـ. (ينظر: ابن عبد الهادي، طبقات علماء الحديث، 3/324-328).

لهم."[1]

رحل الإمام ابن مرزوق الحفيد في طلب العلم كأقرانه من الطلبة الطامحين لأخذ واكتساب المعرفة والاستزادة منها ممّن لم يكن لهم وسيلة غير الرحلة وركوب الصعاب من أجل مبتغي العلم، فقد عبّر صاحب المقدّمة عن الرحلة العلمية وما يستفيد الطالب منها بقوله: "الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلّم، والسبب في ذلك أَنَّ البشر يأخذون معارفهم وما ينتحلُون به من المذاهب والفضائل، تارةً علمًا وتعليمًا وإلقاءً، وتارةً محاكاةً وتلقينا بالمباشرة...فلقاء أهل العلوم وتعدّد المشايخ يفيد تمييز الاصطلاحات...لذا فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال."[2]

كان يقطعُ الليالي ساهرا فغرَّب وشرَّق (الحجاز والأندلس والقاهرة)، ولقي الشيوخ الأكابر حتى توغَّل في فنون العلم واستغرق، مُلازما في ذلك الكتاب والسُنَّة لا يُفارق فريقهما، وعلى نهج الأئمة المحفوظين من البدع في زمن من لا عاصم فيه لأمر الله إلا من رحم[3].

أخذ العلم عن جماعة من أهل العلم كالولي الصالح الزاهد إبراهيم المصمودي[4] الذي أفرده بتأليف في مقدار كراس ذكر من خلاله مناقب

(1) ينظر: محمد بن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، ص141.
(2) عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، (1/744- 745).
(3) ينظر: ابن مريم، البستان، ص 204- 205.
(4) ستأتي ترجمته عند ذكر شيوخه.

الشيخ[1]، وتفقَّهَ كذلك على ابن عرفة[2] وانتفع بفقهه وكان رفيقه في الحج.

حجَّ مرتين: الأولى عام تسعين وسبعمائة للهجرة 790هـ/1387م. والثانية عام تسعة عشر وثمانمائة للهجرة 819 هـ.

يقول عبد الرحمن الثعالبي[3]: "وفي عام تسعة عشر وثمانمائة قدم علينا بتونس شيخنا أبو عبد الله محمد بن مرزوق قاصدا الحج، فأقام بتونس تلك السنة أو جُلَّها، فأخذت عنه كثيرا وسمعت عليه جميع الموطأ وختمت عليه الأربعين حديثا التي جمعها أبو زكريا يحي النووي، قرأتها عليه في منزله قراءة تفهّم، فكان كلّما قرأت عليه حديثا يعلوه خشوع وخضوع، ثم أخذ بالبكاء، فلم أزل أقرأ عليه وهو يبكي إلى أن ختمت الكتاب، وكان من أولياء الله الذين إذا رُؤُوا ذُكر الله، وسمعت عليه حلية النووي إلا يسيرا منها فاتني، وأجازني : جميع مروياته[4].

وأجازه من الأندلس الأئمة كابن جزي[5] وغيره[6].

وعلى هذا فقد كَثُر شيوخه ومُجيزوه من مشارق الأرض ومغاربها، فَقَلَّ أن يجتمع لأحد مثل هؤلاء في مشيخته من مجيزيه، وتخرّج به هو كذلك فحول

(1) ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص505.
(2) ستأتي ترجمته عند ذكر شيوخه.
(3) ستأتي ترجمته عند ذكر تلاميذه.
(4) ينظر: عبد الرحمن الثعالبي، غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، ص114- 115.
(5) ستأتي ترجمته عند ذكر شيوخه.
(6) ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص506.

العلماء[1]، فقد قرأ عليه القلصادي[2] بعض كتابه في الفرائض وأواخر الإيضاح وشيئا من شرح التسهيل، وحضر عليه نحو الربع من إعراب القرآن والشاطبيتين والتلقين وبعض الرسالة وكتب أخرى[3].

وكان : يُدَرّس كُتُبا من المذاهب الأخرى (الحنفية: مختصر القدوري[4]، الشافعية: الوجيز للغزالي[5]، والحنابلة: مختصر الخرقي[6])[7].

---

(1) ينظر: عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات، (524/1).

(2) ستأتي ترجمته عند ذكر تلاميذه.

(3) ينظر: القلصادي، رحلة القلصادي، ص97.

(4) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان البغدادي المعروف بالقدوري، أبو الحسين ، ولد سنة 362هـ، أخذ عن خلق كثير منهم أبو عبد الله محمد بن يحي الجرجاني وعبيد الله بن محمد الحَوشَبي، وأخذ عنه خلق كثير منهم أبو نصر أحمد بن محمد بن محمد وأبو عبد الله الدَّمغاني، له مؤلفات عديدة منها: "مسائل الخلاف بين أصحابنا"و"الهداية"، توفي يوم الأحد 15 رجب 428هـ، ودُفن في داره بدرب أبي خلف. (ينظر: القرشي، الجواهر المُضية في طبقات الحنفية، 247/1-250).

(5) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الشافعي، زين الدين، أبو حامد، حجّة الإسلام، ولد بطوس سنة 450هـ، أخذ عن خلق كثير منهم أبو المعالي الجويني، وأخذ عنه كذلك خلق كثير منهم خلف بن رحمه، ترك تصانيف كثيرة أشهرها: "المستصفى" و"المنخول"، توفي صبيحة يوم الاثنين 14 جمادى الآخرة سنة 505هـ بالطَّابران قصبة بلاد طوس. (ينظر: الأسنوي، طبقات الشافعية، 111/2-113).

(6) هو عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقي، أبو القاسم، أخذ عن خلق كثير منهم أبو بكر المَرُّوذي، وحرب الكَرماني، وأخذ عنه خلق كثير منهم أبو عبد الله بن بطة، وأبو الحسين التميمي، له تآليف كثيرة منها: "المختصر في الفقه الحنبلي"، توفي سنة 334هـ، ودفن بدمشق. (ينظر: ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، 147/3-210).

(7) ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص502-503.

كانت أوقاتُه : كلّها معمورة بالطاعات ليلا ونهارا من صلاة وقراءة قرآن وتدريس علم وفتيا وتصنيف، وكانت له أوراد معلومة وأوقات مشهورة[1].

حظي بمكانة هامة في الحياة الثقافية والدينية في المغرب، حسب ما ثبته لنا خبر طويل عن معارفه ونشاطاته التي تذكرها المصادر بكثير من المدح، وَطَّد علاقات مع أهم علماء عصره حسب ما يُستخلصُ من قوائم أساتذته وتلاميذه[2].

أفنى عُمره في تحصيل العلم وبثّه في أفاضل الرجال[3]، وأجمع الناس على فضله من المغرب إلى الديار المصرية، واشتهر فضله في البلاد؛ فكان بذكره تطرز المجالس، جعل الله حبّه في قلوب العامة والخاصّة، فلا يُذكَر في مجلس إلَّا والنفوس متشوقة لما يُحكَى عنه، وكان في التواضع والإنصاف والاعتراف بالحق في الغاية وفوق النهاية لا يُعلم له نظير في ذلك في وقته[4].

ولا أدَلَّ على تواضعه إلا كلامه: حيث قال: "ما عرفتُ العلم حتى قدم إلينا هذا الشاب محمد بن أحمد بن أبي القاسم المشذّالي[5]، فقيل له: وكيف؟ قال: لأنّي كنتُ أقول فيُسَلَّمُ لي قولي؛ فلمّا جاء هذا شرع يُنازعني فشرعتُ أتحرّزُ، وانفتحت لي أبوابُ المعارف."[6]

(1) أحمد المقري، نفح الطيب، (5/427).
(2) محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن، ص54.
(3) ينظر: التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ص140.
(4) ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص503.
(5) ستأتي ترجمته عند ذكر تلاميذه.
(6) ابن القاضي، درة الحجال، (2/293).

وكان يدعو ويقول: "ومن الله أسأل بنور وجهه الكريم وحرمة مولانا محمد الرؤوف الرحيم، ذي الخُلُق العظيم أن يمُنّ عليّ من بركاتهم ويُشفّعهم فِيَّ ويُخلّصني من الامتحان وتقلبات الزمان، وأن يردّني إليه ردًّا جميلا، وأن يستعملني فيما بقي من عُمُري في خدمته، وأن يشملني حيا وميّتا برحمته، وأن يُيَسّر إليّ الانتقال إلى حَرَمه وحَرَم رسول الله ﷺ بفضله ومَنّه، إِنَّه جوادٌ كريم...."[1]

ومن نظمه رحمه الله تعالى عن تلمسان وحبّه لها قوله:

بلد الجــدار ما أمرّ نواهـــا .:. كلف الفؤاد بحبها وهواها

يا عاذلي كن عاذري في حبّها .:. يكفيك منها ماؤها وهواها

ويُقصَد ببلد الجدار هنا: تلمسان المحروسة[2].

أمّا تعامله مع تلاميذته، فكان حريصا عليهم ويُتابع تحصيلهم وتآليفهم، فقد حكى عنه تلميذه الإمام الثعالبي: في رحلته قائلا: "...وحرّضني على إتمام تقييد وضعته على ابن الحاجب[3] الفرعي."[4]

---

(1) محمد بن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، ص142.

(2) أحمد المقري، نفح الطيب، (5/433).

(3) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر ابن يونس الدّوني ثم المصري المعروف بابن الحاجب، جمال الدين أبو عمرو، كان والده حاجب الأمير عز الدين موسك الصلاحي، فقيه، أصولي، ولد سنة 570هـ بأَسنَا، حفظ القرآن في صغره، وتفقّه على مذهب الإمام مالك، وبرع في علم العربية والقراءات، من تصانيفه: "المختصر الفقهي" و"الكافية في النحو"، توفي نهار الخميس 26 شوال 646هـ بالاسكندرية. (ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/248-250).

(4) عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (5/171).

المطلب الثالث
شيوخ الإمام ابن مرزوق الحفيد وتلاميذه

وسوف يُتطرَّق للشيوخ ثم التلاميذ كما يلي:

الفرع الأول: شيوخه

1. أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأزدي التونسي؛ الشهير بابن القصار (ت790 هـ)[1].
2. أحمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله بن عوض الشهير بابن التنسي (ت801 هـ)[2].
3. محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي (ت803 هـ)[3].
4. عمر بن أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد المصري المعروف بابن الملقن (ت 804 هـ)[4].
5. إبراهيم بن موسى المصمودي التلمساني (ت805 هـ)[5].
6. عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبد الخالق البلقيني (ت805 هـ)[6].

---

(1) ينظر في ترجمته: محمد بن يحي القرافي، توشيح الديباج، ص53.
(2) ينظر في ترجمته: السيوطي، بغية الوعاة، (1/382-383).
(3) ينظر في ترجمته: ابن قنفذ، الوفيات، ص379-380.
(4) ينظر في ترجمته: السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، (1/438).
(5) ينظر في ترجمته: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 54-56.
(6) ينظر في ترجمته: ابن حجر، المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، (2/294-311).

7. عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي[1].

8. سعيد بن محمد بن محمد بن محمد العقباني التّجيبي التلمساني (ت811 هـ)[2].

9. أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني (ت852 هـ)[3].

10. محمد بن محمد بن يوسف بن الأنصاري الغرناطي الشهير بابن الخشاب (ت774 هـ)[4].

11. عبد الله بن عمر الوانغيلي الضرير (ت779 هـ)[5].

12. محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق الخطيب (ت781)[6].

13. محمد بن علي بن حياتي الغافقي (ت788 هـ)[7].

14. محمد بن عبد اللطيف بن محمود الرُبعي الشهير بابن الكويك الشافعي (ت790 هـ)[8].

15. علي بن محمد بن منصور الغماري التلمساني المعروف بالأشهب

---

(1) ينظر في ترجمته: ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، (3/392-399).

(2) ينظر في ترجمته: ابن فرحون، الديباج المذهب، (1/394).

(3) ينظر في ترجمته: ابن حجر، الدرر الكامنة، (4/492-500).

(4) ينظر في ترجمته: عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات، (1/384).

(5) ينظر في ترجمته: محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، (1/235).

(6) ينظر في ترجمته: عبد الرحمن بن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 60-64.

(7) ينظر في ترجمته: المكناسي، جذوة الاقتباس، (1/237).

(8) ينظر في ترجمته: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، (11/261).

(ت791 هـ)[1].

16. عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني الحسني (ت792 هـ)[2].

17. تقي الدين محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن حاتم المصري (ت793 هـ)[3].

18. إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي زيد بن أبي الخير اليزناسني (ت794 هـ)[4].

19. عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن سليمان بن جعفر الإسكندراني الدماميني (ت794 هـ)[5].

20. نور الدين علي بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم العقيلي النويري (ت799 هـ)[6].

21. محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام النحوي بن النحوي (ت799 هـ)[7].

22. محمد بن محمد بن علي بن عبد الرزاق شمس الدين الغماري

---

(1) ينظر في ترجمته: الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، (2/271).

(2) ينظر في ترجمته: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص225-228.

(3) ينظر في ترجمته: ابن العماد، شذرات الذهب، (8/565).

(4) ينظر في ترجمته: المكناسي، جذوة الاقتباس، (1/86-87).

(5) ينظر في ترجمته: ابن حجر، الدرر الكامنة، (2/251).

(6) ينظر في ترجمته: الفاسي، العقد الثمين، (6/132-136).

(7) ينظر في ترجمته: السيوطي، بغية الوعاة، (1/148).

النحوي (ت802 هـ)[1].

23. أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق؛ أبو العبّاس، والد ابن مرزوق (توفي قبل 806 هـ)[2].

24. محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق؛ أبو الطاهر، عمّ ابن مرزوق (كان حيا سنة 806 هـ)[3].

25. برهان الدين إبراهيم بن محمد بن صديق بن يوسف الدمشقي الحريري المعروف بابن صديق والرسّام (ت806 هـ)[4].

26. زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي الأصل الكردي (ت806 هـ)[5].

27. محمد بن علي بن قاسم بن علي بن علاَّق الأمي الأندلسي الغرناطي (ت806 هـ)[6].

28. عبد الرحمن بن علي بن صالح الماكودي الفاسي (ت807 هـ)[7].

29. نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان القاهري الشافعي الهيثمي (ت807 هـ)[8].

---

(1) ينظر في ترجمته: ابن الجزري، غاية النهاية، (2/214-215).

(2) لم أقف على ترجمته.

(3) لم أقف على ترجمته.

(4) ينظر في ترجمته: المقريزي، درر العقود الفريدة، (1/73- 74).

(5) ينظر في ترجمته: ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، (4/33-38).

(6) ينظر في ترجمته: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص477.

(7) ينظر في ترجمته: محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، (1/249).

(8) ينظر في ترجمته: السخاوي، الضوء اللامع، (5/200-203).

30. عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي التونسي المعروف بابن خلدون (ت808 هـ)[1].

31. أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب بن قنفذ القسنطيني المعروف بابن قنفذ (ت810 هـ)[2].

32. محمد بن علي بن إبراهيم الكناني القيجاطي الغرناطي (ت811 هـ)[3].

33. محمد بن علي بن محمد الأنصاري الغرناطي الشهير بالحفَّار (ت811 هـ)[4].

34. محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروز آبادي (ت817 هـ)[5].

35. محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن أحمد بن محمود المعروف بابن الكويك الربعي التكريتي الإسكندري (ت821 هـ)[6].

36. أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي (ت826 هـ)[7].

---

(1) ينظر في ترجمته: ابن حجر، رفع الإصر عن قضاة مصر، ص233-237.

(2) ينظر في ترجمته: شعبان محمد إسماعيل، أصول الفقه تاريخه ورجاله، ص406.

(3) ينظر في ترجمته: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص478.

(4) ينظر في ترجمته: محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، (247/1).

(5) ينظر في ترجمته: السيوطي، بغية الوعاة، (273/1-275).

(6) ينظر في ترجمته: ابن العماد، شذرات الذهب، (108/9).

(7) ينظر في ترجمته: ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، (332/1-335).

37. عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني (ت826 هـ)[1].

38. محمد بن أحمد بن محمد بن علوان التونسي مولدًا المعروف بالمصري (ت827 هـ)[2].

39. محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي الإسكندري، المعروف بالدّماميني (ت827 هـ)[3].

40. أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن المعتل البلوي القيرواني الشهير بالبرزلي (ت844 هـ)[4].

41. رضوان بن محمد بن يوسف بن سلامة الشافعي المستملي المصري (ت852 هـ)[5].

42. محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد الحلبي القاهري الحنفي الشهير بالعيني (ت855 هـ)[6].

43. عثمان بن رضوان الوزروالي الفاسي (ت798 هـ)[7].

44. عثمان بن أبي بكر النويري[8].

45. محمد بن مسعود الصنهاجي الفيلالي[1].

---

(1) ينظر في ترجمته: الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، (2/200-201).

(2) ينظر في ترجمته: محمد بن يحي القرافي، توشيح الديباج، ص170-171.

(3) ينظر في ترجمته: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص488-490.

(4) ينظر في ترجمته: ابن مريم، البستان، ص 150-152.

(5) ينظر في ترجمته: ابن العماد، شذرات الذهب، (9/401).

(6) ينظر في ترجمته: السخاوي، الضوء اللامع، (10/131-135).

(7) ينظر في ترجمته: محمد الكتاني، سلوة الأنفاس، (3/10).

(8) ينظر في ترجمته: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص309.

46. مسعود بن نذير المالقي[2].

47. ناصر الدين الإسحاقي[3].

الفرع الثاني: تلاميذه.

1. نصر الزواوي التلمساني المالكي (ت826 هـ)[4].

2. عمر بن عبد الله التونسي الباجي المشهور بالقلشاني (ت848 هـ)[5].

3. محمد بن أحمد بن محمد بن عطاء اللَّه (ت853 هـ)[6].

4. محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد البجائي الشهير بالمشذَّالي (ت865 هـ)[7].

5. عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري (ت876 هـ)[8].

6. يحي بن أبي عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني (ت883 هـ)[9].

7. أحمد بن أبي يحي حفيد أبي عبد الله الشريف التلمساني (ت895 هـ)[10].

---

(1) لم أقف على ترجمته.

(2) لم أقف على ترجمته.

(3) لم أقف على ترجمته.

(4) ينظر في ترجمته: ابن مريم، البستان، ص295.

(5) ينظر في ترجمته: محمد بن يحي القرافي، توشيح الديباج، ص 110-111.

(6) ينظر في ترجمته: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص529-530.

(7) ينظر في ترجمته: السيوطي، بغية الوعاة، (2/247).

(8) ينظر في ترجمته: الحضيكي، طبقات الحضيكي، (2/536).

(9) ينظر في ترجمته: محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، (1/265).

(10) ينظر في ترجمته: الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، (2/96-97).

8. محمد بن عبد الجليل التنسي التلمساني (ت899 هـ)[1].

9. محمد بن محمد بن أحمد بن مرزوق العجيسي التلمساني المعروف بالكفيف(ت901 هـ)[2].

10. علي بن ثابت بن سعيد بن علي القرشي الأموي (ت829 هـ)[3].

11. أحمد بن أحمد بن عبد الله الندرومي التلمساني (ت830 هـ)[4].

12. أحمد بن محمد بن علي المصمودي الماجري التلمساني (ت بعد 837 هـ)[5].

13. محمد الرياحي المغربي المالكي (ت840 هـ)[6].

14. محمد بن محمد بن محمد الأندلسي الغرناطي المالكي المعروف بالراعي (ت853 هـ)[7].

15. طاهر بن محمد بن علي بن محمد النويري المالكي (ت856 هـ)[8].

16. إبراهيم بن فائد بن موسى بن عمر الزواوي النجّار القسنطيني (ت857 هـ)[9].

17. الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعد المزيلي الراشدي المعروف

---

(1) ينظر في ترجمته: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص572-573.

(2) ينظر في ترجمته: ابن القاضي، درة الحجال، (144/2).

(3) ينظر في ترجمته: الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، (259/2).

(4) ينظر في ترجمته: ابن مريم، البستان، ص44.

(5) ينظر في ترجمته: عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر، ص106.

(6) ينظر في ترجمته: السخاوي، الضوء اللامع، (121/10).

(7) ينظر في ترجمته: أحمد المقري، نفح الطيب، (694/2).

(8) ينظر في ترجمته: ابن القاضي، درة الحجال، (281/1).

(9) ينظر في ترجمته: الداودي، طبقات المفسّرين، (17/1).

بأبركان (ت857 هـ)[1].

18. محمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد النويري الميموني القاهري المالكي (ت857 هـ)[2].

19. محمد بن محمد بن يحي المعروف بابن المخلّطة (ت858 هـ)[3].

20. محمد بن أحمد بن أبي يزيد محمد السيرامي الحنفي المصري الأقصرائي (ت859 هـ)[4].

21. عيسى بن سلامة بن عيسى البسكري (كان حيا سنة 860 هـ)[5].

22. محمد بن محمد بن علي بن عبد الواحد المجاري الأندلسي (ت862 هـ)[6].

23. عيسى بن سليمان بن خلف بن داود الشريف الطنوبي القاهري الشافعي (ت863 هـ)[7].

24. محمد بن سليمان بن داود الحسني المغربي الجزولي المالكي (ت863 هـ)[8].

25. إبراهيم بن محمد بن علي اللنتي التازي نزيل وهران (ت866

---

(1) ينظر في ترجمته: ابن صعد، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، ص125-142.

(2) ينظر في ترجمته: محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، (1/243).

(3) ينظر في ترجمته: محمد بن يحي القرافي، توشيح الديباج، ص 211-212.

(4) ينظر في ترجمته: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، (16/153).

(5) ينظر في ترجمته: أحمد خمار، تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل، ص39.

(6) ينظر في ترجمته: السخاوي، الضوء اللامع، وقد دوّنها بالخطإ [المجاراي]، (9/151).

(7) ينظر في ترجمته: المصدر نفسه، (6/153-154).

(8) ينظر في ترجمته: محمد بن يحي القرافي، توشيح الديباج، ص 190-191.

هـ)[1].

26. أبو الفرج بن أبي يحي حفيد أبي عبد الله الشريف التلمساني (ت868 هـ)[2].

27. محمد بن الحسن بن مخلوف الراشدي المعروف بأبركان (ت868 هـ)[3].

28. أحمد بن محمد بن عبد الله التجاني التونسي المالكي المعروف بابن كحيل (ت869 هـ)[4].

29. محمد بن أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت869 هـ)[5]

30. محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي الشهير بابن العباس التلمساني (ت871 هـ)[6].

31. أحمد بن الحسن الغماري (ت874 هـ)[7].

32. يحي بن يدير بن عتيق التدلسي؛ قاضي توات (ت877 هـ)[8].

33. أحمد بن يونس بن سعيد بن عيسى القسنطيني المعروف بابن

---

(1) ينظر في ترجمته: الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، (2/7- 12).

(2) ينظر في ترجمته: أحمد الونشريسي، وفيات الونشريسي، (2/773).

(3) ينظر في ترجمته: محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، (1/262-263).

(4) ينظر في ترجمته: السخاوي، الضوء اللامع، (2/136-137).

(5) ينظر: المصدر نفسه، (7/20).

(6) ينظر في ترجمته: ابن مريم، البستان، ص223- 224.

(7) ينظر في ترجمته: ابن صعد، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، ص193-239.

(8) ينظر في ترجمته: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص637.

يونس (ت878 هـ)[1].

34. أمين الدين يحي بن محمد بن إبراهيم بن أحمد الأقصرائي القاهري الحنفي (ت879 هـ)[2].

35. علي بن محمد بن محمد بن علي البسطي القرشي الشهير بالقلصادي (ت891 هـ)[3].

36. عبد الله بن عبد الواحد الورياجلي الفاسي (ت894 هـ)[4].

37. محمد بن يوسف بن عمر السنوسي التلمساني (ت895 هـ)[5].

38. أحمد بن محمد بن زكري المانوي التلمساني (ت899 هـ)[6].

39. محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز المعروف بالحاج عزوز الصنهاجي المكناسي[7].

40. محمد بن محمد التميمي المعقلي[8].

إِنَّ قائمة هؤلاء التلاميذ الذين درسوا على سيدي ابن مرزوق الحفيد لدليل قاطع على مدى سعة علمه، ومدى تفوقه على أهل زمانه من الشيوخ والعلماء الأجلاء.

---

(1) ينظر في ترجمته: محمد بن يحيى القرافي، توشيح الديباج، ص44.

(2) ينظر في ترجمته: ابن العماد، شذرات الذهب، (490/9).

(3) ينظر في ترجمته: أحمد المقري، نفح الطيب، (692/2).

(4) ينظر في ترجمته: الشفشاوني، دوحة الناشر، ص 30-33.

(5) ينظر في ترجمته: ابن القاضي، درة الحجال، (141/2).

(6) ينظر في ترجمته: ابن مريم، البستان، ص38-41.

(7) ينظر في ترجمته: محمد بن يحي القرافي، توشيح الديباج، ص 192.

(8) ينظر في ترجمته: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص535.

المطلب الرابع
مكانة الإمام ابن مرزوق الحفيد العلمية وشهادة العلماء له

إِنَّ المتأمِّل في كُتُب التراجُم والرحلات، والفهارس والأثبات، يجد أَنَّ الإمام ابن مرزوق الحفيد قد تبوَّأ مكانة سامية ضمن الأعلام المُترجَم لهم، ومُدوَّن كذلك ضمن كُتُبِ الأثْبات؛ لتدريسه الطُلَّاب، وإجازتهم في مروياته، فكثيرا ما يُثني الطلبة على أستاذهم خيرا، لِمَا نالوه من العلم، والتأدُّب، والخُلُق الرَّفيع.

الفرع الأول: مكانته العلمية

ممّا لاشك فيه أَنَّ للإمام ابن مرزوق الحفيد مكانة خاصة بين علماء تلمسان في عصره، فقد لمع نجمه رغم تواجد ثُلة كبيرة في زمانه من العلماء، فنجده برز في مجال الفقه بصورة واضحة حتى وُصف من طرف مترجميه بأَنَّه "الفقيه الأصولي النظار..."، فلا ريب أَنَّه استحق هذه المكانة بفضل نبوغه العلمي وإلمامه بالمسائل الفقهية والأدلة الشرعية، وكذلك بفضل جمعه وتحصيله للفنون.

فقد اشتهر بالرسوخ في العلم والاطلاع الواسع والتحقيق المدقق في الدرس والذكاء وحسن البيان والخطابة، والتوسع في الرواية، والإحاطة بمذاهب الفقه الإسلامي وحَلِّ مقفلات المسائل العلمية والمشكلات، هذا بالإضافة إلى كرم الأخلاق مع شدَّته على أهل الأهواء والبدع فاشتهر ذكره

في البلاد فصار يُدعى بشيخ الإسلام وعالم الدنيا[1].

حتى إنَّه كان يُسأل من العامة والعلماء كأبي الشريف التلمساني، وتأتيه الفتاوى من سكان تلمسان ومن خارجها "مازونة"[2]، وحتى خارج حدود التراب الجزائري كـ: "غرناطة "[3]و"تازة "[4].

(1) ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، (2/213).

(2) مدينة قديمة بناها الرومان على بعد نحو 40 ميلا من البحر تمتد على مساحة شاسعة وتحيط بها أسوار متينة، وفيها جامع وبعض مساجد أخرى، كانت مدينة متحضّرة جدًّا في القديم لكنَّها كثيرًا ما تعرَّضت للتخريب من طرف ملوك تونس تارة ومن قبَل الثوار تارة أخرى حتى أصبحت اليوم قليلة السكان؛ وهم إمَّا نسَّاجون أو فلاّحون وجميعهم تقريبا فقراء. (ينظر: ليون الإفريقي، وصف إفريقيا 2/36).

(3) مدينة كبيرة مستديرة، رائقة المنظر، كثيرة الأمطار والأنهار والبساتين والفواكه، قليلة مهب الرياح لا يجري بها الريح إلا نادرًا؛ لاكتناف الجبال إياها واصل أنهارها نهران عظيمان (شنيل وحدرة) وبها عيون كثيرة وأشجار مختلف ألوانها وحلاوة حتى إنها ليعصر منها العسل وبها الجوز والقسطل، وبذلك الجبل عقاقير كعقاقير الهند، وقلعتها حيث سلطانها تعرف بالحمراء؛ وهي بديعة متَّسعة كثيرة المباني الضخمة والقصور ظريفة جدا، وللمدينة 13 بابا، أضخم أبوابها باب البيرة وباب الكحل، وجامع غرناطة محكم البناء بديع جدا لا يلاصقه بناء، وأهل الأندلس لا يتعمَّمون بل يتعهدون شعورهم بالتنظيف والحناء مالم الشيب. (ينظر: العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، 4/116-121).

(4) مدينة كبيرة، تعيش في رخاء على أرض خصبة، أسَّسها الأفارقة القدماء على بعد 5 أميال من الأطلس، وتبعد عن فاس بنحو 50 ميلاً، دُورُها غير جميلة باستثناء قصور الأشراف والمدارس والمساجد المبنية بجدران في غاية الإتقان، تحتل المدينة الدرجة الثالثة في المملكة من حيث المكانة والحضارة، ولتازا أراضي شاسعة تضُم جبالا كثيرة، تسكنها قبائل شتى. (ينظر: الحِميَري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص128).

ومّما يُؤكد أَنَّه كان وحيد عصره ولا يُقدّم غيره عنه؛ لمّا قدم ابن سراج[1] إلى تلمسان لقي الإمام ابن مرزوق وناظره[2].

وقد أدرج صاحب نظم بوطليحية وهو يذكر المعتمد من الكتب والفتوى في المذهب المالكي جعل مُؤَلف الإمام ابن مرزوق: "المنزع النبيل في شرح مختصر خليل وتصحيح مسائله بالنقل والدليل" من الكتب المعتمدة حيث قال:

واعتمدوا مختصر ابن عرفة .:. كذا ابن مرزوق وعن من عرفه[3]

وذكروا الإمام ابن مرزوق في المصطلحات الحرفية التي تشير إلى أئمة المالكية؛ وهي التي تشير إلى أسماء الأئمة بحروف من أسمائهم:

مق: الميم والقاف ويُقصد بهما الإمام ابن مرزوق[4].

فالناس قد أجمعوا على فضله من المغرب إلى الديار المصرية وبأَنَّه عديم النظير في وقته، فقد بلغ في نظر معاصريه درجة الاجتهاد[5].

---

(1) هو محمد بن محمد بن سراج، أبو القاسم، قاضي الجماعة، أخذ عن خلق كثير منهم الأستاذ الحفار، وأخذ عنه جماعة من الأئمة الكبار منهم العلاّمة الراعي، من تآليفه: "الشرح الكبير على مختصر خليل". توفي سنة 848 هـ. (ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص526).

(2) ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص526.

(3) محمد النابغة بن عمر الغلاوي، بوطليحية، ص81.

(4) محمد المختار محمد المامي، المذهب المالكي؛ مدارسه ومؤلفاته، خصائصه وسماته، ص485.

(5) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (52/1).

وعلى الرغم من اعتلائه هذه المرتبة من العلم، إلا أَنَّه لم يكن بمعزل عن مجتمعه، ولا حتّى عن الأجواء السياسية، حيث كان يصلح بين السَّلاطين على غرار العامّة، فقد ذكر الإمام الثعالبي ذلك عَرَضًا في آخر تفسير سورة الشورى قوله: "...وافق قدوم شيخنا أبي عبد الله محمد بن مرزوق علينا في سَفرَة سافرها من تلمسان متوجها إلى تونس، ليصلح بين سلطانها وبين صاحب تلمسان...."[1]

وذكر أحمد المقري شبيه الكلام الذي سبق قوله: "وحدّثني عمّي الإمام سيدي سعيد المقري : أَنَّ العلامّة ابن مرزوق لمّا قدم تونس في بعض الرسائل السلطانية، طلب منه أهل تونس أن يقرأ لهم في التفسير بحضرة السلطان فأجابهم إلى ذلك...."[2]

وممَّا يؤكد أَنَّ للإمام ابن مرزوق الحفيد مكانة علمية داخل وطنه وخارجها، حيث كان كثير التردد على تونس، وفي إحدى المرات كتب وقفية حبس لبستان كان يملكه أحد أهالي مدينة توزر[3]، فقد نمقها بطريقته وأسلوبه؛ وهذا مقطع منها: "أشهد على نفسه فلان بن فلان، شهدا هذا العقد في صحته وجواز أمره؛ لما رغب فيه من الأجر والثواب، أَنَّه حبس

(1) عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (5/171).

(2) أحمد المقري، نفح الطيب، (5/433).

(3) مدينة عتيقة بناها الرومان في صحراء نوميديا على جدول ماء صغير، يأتي من بعض الجبال من جهة الجنوب، كانت أسوارها جميلة، سكانها أغنياء بعقاراتهم وأموالهم؛ لأَنَّهم يقيمون في مدينتهم أسواقا عديدة يقصدها النّاس في مختلف القبائل النوميدية والبربرية. (ينظر: ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، 2/142- 143).

جميع جنانه الكائن له بخارج بلدة توزر المُسمّى بكذا، يحدّه قبلة جنان كذا، وبينهما مجرى ماء...."[1]

الفرع الثاني: شهادة العلماء له

أسهب أحمد المقري في ذكره والثناء عليه فترجم له ترجمة وافية تليق بمقامه في ورقات كثيرة وسمّاه في سلسلته العلمية نقتطف منها على سبيل الذكر لا الحصر قوله: "هو البحر، الإمام المشهور الحجّة الحافظ العلامة المحقق الكبير النظار المطّلع المصنِّفُ المُنْصِف...."[2]

وقال بعضهم في حقه: "كان يسير سيرة سلفه في العلم والتخَلُّق والحلم والشفقة، وحُبّ المساكين....."[3]

ووصفه التنبكتي بقوله: "شيخ الشيوخ، وآخر النُظَّار الفحول، صاحب التحقيقات البديعة والاختراعات الأنيقة والأبحاث الغريبة، والفوائد الغزيرة، المتفق على علمه وصلاحه وهديه، السيد الزكي الفهامة، الذي قلَّ سماح الزمان بمثيله أبدا...."[4]

وصفه ابن مريم: "الإمام المشهور العلامة الحُجَّة الحافظ المحقق الكبير، الثقة الثبت المطلع، النُظَّار المُصنّف، التقي الصالح الزاهد...الفقيه الأصولي، المفسّر المحدّث الحافظ المسند الراوية، الأستاذ المقرئ المجوّد النحوي

(1) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، (2/355).
(2) أحمد المقري، نفح الطيب، (5/420).
(3) المصدر نفسه، (5/427).
(4) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص499.

اللغوي، البياني العروضي...."[1]

قال عنه ابن حجر: "وكان نزها عفيفا متواضعا، سمع منّي وسمعت منه..."[2]

ووصفه تلميذه المازوني بقوله: "الإمام الحافظ بقية النُظَّار والمجتهدين، ذي التواليف العجيبة، والفوائد الغريبة، مستوفي المطالب والتحقيق..."[3]

ذكره تلميذه القلصادي فقال: "أدركت فيها -أي تلمسان-كثيرا من العلماء والعبّاد والزهّاد وسوق العلم حينئذ نافقة وتجارة المتعلمين والمعلّمين رابحة وأولاهم بالذكر والتقديم: الشيخ الفقيه الإمام العلاّمة الكبير الشهير شيخنا وبركتنا سيدي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق العجيسي... وكان له بالعلم عناية تكشف بها العماية، ودراية تعضّدها الرواية ونباهة تكسب النزاهة."[4]

وأشاد به أبو عبد الله بن العباس بقوله: "كان آخر علماء قطرنا، أخذ من كل فن أوفر نصيب، وحاز قصب السبق سيَمَا في الحديث قد حصله بالفرض والتعصيب."[5]

وقال تلميذه أبو الفرج بن أبي يحي الشريف: "كان شيخنا الإمام عالما علما جامع شتات العلوم الشرعية والعقلية حفظا وفهما وتحقيقا، راسخ القدم

---

(1) ابن مريم، البستان، ص201-202.

(2) السخاوي، الضوء اللامع، (50/7).

(3) المازوني، الدرر المكنونة، (200/1).

(4) القلصادي، رحلة القلصادي، ص95-96.

(5) الحضيكي، طبقات الحضيكي، ص250.

رافع لواء الإمامة بين الأمم، ناصر بمقاله وبيانه، وبالعلم مُحي السُنّة بفعاله، وبالشيم قطب الوقت في الحال والمقام، مُلازم للسُنّة على نهج محفوظي الأئمة من البدع ذو همّة علية...."[1]

وصفه تلميذه عبد الرحمن الثعالبي: "أَنَّه كان من أولياء الله الذين رؤوا ذكر الله، وأجمع النّاس على فضله من المغرب إلى الديار المصرية."[2]

وعندما طلب أن يستجيزه قال عنه: "الإمام الحبر الهمام حُجَّة أهل الفضل في وقتنا وخاتمتهم ورُحلة النقّاد وخُلاصتهم، ورئيس المحققين وقادتهم."[3]

ووصفه كذلك عندما طلب الإجازة بالإقراء ونشر العلم بقوله: "...سيد وقته، وإمام عصره، فاضل أقرانه، وأعجوبة زمانه، وفاروق أوانه...."[4]

وقال تلميذه الحافظ أبو عبد الله التنسي بعد ذكره قصة مالك[5]، "أَنَّه سُئل عن أربعين مسألة، فقال في ست وثلاثين: لا أدري بقوله، وجُنَّة العالم لا أدري ما نصّه، ولم نر فيمن أدركنا من شيوخنا من تمرّن على هذه الخصلة الشريفة وكثّر استعمالها غير شيخنا الإمام العلاّمة رئيس المغرب على الإطلاق

(1) التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ص138.

(2) عبد الرحمن الثعالبي، غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، ص113.

(3) المصدر نفسه، ص114.

(4) المصدر نفسه، ص115.

(5) هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي اليمني، أبو عبد الله ، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السُنّة، وإليه تُنسب المالكية، ولد سنة 93 هـ بذي المروة بالمدينة، ونشأ بها، أخذ العلم عن خلق كثير منهم ربيعة الرأي، وعبد الرحمن بن هرمز، وقد تمهر في علوم شتى، وأخذ عنه العلم خلق كثير منهم عبد الرحمن بن القاسم وعبد الله بن وهب، من تآليفه "الموطأ"، توفي في ربيع الأول سنة 179هـ بالمدينة. (ينظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك 1/104 وما بعدها).

أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق[1].

حلف الزمان ليأتينّ بمثله .:. حنثت يمينك يا زمان فكفّر[2]

حلاّه ابن غازي في فهرسه قائلا: "شيخ الإسلام، وخاتمة العلماء الأعلام، الحبر، البحر، الناقد، النافذ، النحرير، المشاور، العمدة الكبير، ذي التصانيف العديدة والأنظار السديدة."[3]

ومن المتأخرين وصفه صاحب شجرة النور الزكية قائلا: "هو الإمام المحقق العلاّمة المفسّر المحدث الراوية الفهامة الحافظ النّظار، المتبحر في العلوم الماهر الولي الصالح، فارس المنابر، الوارث المجد كابر عن كابر."[4]

ووصفه عمر رضا كحالة بأَنَّه: "فقيه أصولي، محدّث مفسّر، مقرئ، لغوي بياني، عروضي، ناظم."[5]

وبالجملة فالوصف يتقاصر عن صفاته، وفضلاء عصره لا يرتقون إلى صفاته، فهو شيخ العلماء في أوانه، وإمام الأئمة في عصره وزمانه، شهد بنشر علومه العاكف والبادي، وارتوى من بحار تحقيقاته الظمآن والصادي[6].

---

(1) ابن مريم، البستان، ص207.

(2) المصدر نفسه، ص204.

(3) ابن غازي، فهرس ابن غازي، ص169- 170.

(4) محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، (252/1).

(5) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، (97/3).

(6) يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، (56/2).

المطلب الخامس
مؤلفات الإمام ابن مرزوق الحفيد

كان لنبوغ الإمام ابن مرزوق وسعة علمه وما له من مكانة علمية، وما مَنَّ الله عليه من سعة الأُفق التي جعلته يكتب بعمق وأصالة في مختلف العلوم، الأثر البالغ على مؤلفاته وغزارة الإنتاج مع القوة والتمكن في أغلبها، وقد حفظت لنا كتب التراجم وفهارس الكتب والمخطوطات جملة منها، بعضها أتمّ تأليفه، والبعض الآخر عاجلته المنيّة على إتمامه، تُذكر عناوينها لا على الترتيب:

الفرع الأول: المؤلفات المُكتَملة

1. الأرجوزة الكبرى: سمّاها روضة الإعلام بأنواع الحديث التام[1].
2. الأرجوزة الصغرى: سمّاها الحديقة؛ وهو مختصر للروضة[2].
3. أرجوزة[3]: سمّاها مفتاح باب الجنّة في مقرأ السبعة أهل السنّة؛ متكونة من ألف بيت في محاذاة حزر الأماني للشاطبي[4].

---

(1) هذه المنظومة جمع فيها بين ألفيتي العراقي وابن ليون. ذكرها جمع من المترجمين، منهم: محمد بن يحي القرافي، توشيح الديباج، ص154.

(2) ذكرها جمع من المترجمين، منهم: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص506.

(3) ذكرها جمع من المترجمين، منهم: البلوي، ثَبَت البلوي، ص293.

(4) هو القاسم بن فيرّة بن خلف بن أحمد الشاطبي الرعيني الضرير، أبو محمّد،إمام القراء، ولد في آخر سنة 538هـ بشاطبة بالأندلس، قرأ على خلق كثير منهم أبو عبد الله محمد بن أبي العاص، وأخذ عنه خلق كثير منهم أبو عبد الله محمد بن عمر القرطبي، من تصانيفه: كتاب "حرز الأماني ووجه التهاني "، توفي سنة 590 هـ. (ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية، 2/20-22).

4. أرجوزة[1]: سمّاها مواهب الفتّاح في نظم تلخيص المفتاح؛ نظم فيها تلخيص المفتاح[2] للخطيب القزويني[3]؛ نظمه الإمام ابن مرزوق حال صغره.

5. أرجوزة[4]: سمّاها كنز الأماني والأمل في نظم الجمل؛ نظم فيها جمل الخونجي[5].

6. أرجوزة[6]نظم تلخيص ابن البناء[7].

7. أرجوزة[8] في اختصار ألفية ابن مالك[9].

---

(1) ذكرها جمع من المترجمين، منهم: البلوي، ثَبَت البلوي، ص293.

(2) هو كتاب في البلاغة لصاحبه السّكاكي سمّاه مفتاح العلوم.

(3) هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني الدمشقي الشافعي، جلال الدين، قاضي قضاة الإقليمين، ولد بالموصل سنة 666هـ، أخذ عن خلق كثير منهم الإربلي وأبو العباس الفاروثي، من تصانيفه: "الإيضاح"و"التلخيص" في علمي المعاني والبيان، توفي بدمشق في جمادى الأولى سنة 739 هـ. (ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، 8/216-217).

(4) ذكرها جمع من المترجمين، منهم: البلوي، ثَبَت البلوي، ص293.

(5) هو محمد بن نَامَاور بن عبد الملك الشافعي المشهور بالخونجي، أبو عبد الله أفضل الدين، فقيه فارسي الأصل، ولد سنة 590هـ، أخذ عنه خلق كثير منهم العز الإربلي الضرير، له مصنفات كثيرة منها: "الموجز في المنطق" و"كشف الأسرار عن غوامض الأفكار". توفي في رمضان سنة 646هـ بالقاهرة. (ينظر: ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية 2/158-159).

(6) ذكرها جمع من المترجمين، منهم: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص507.

(7) هو أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البنا العددي، أبو العباس، إمام، عالم، ولد في 9 ذو الحجة 654هـ بمراكش، أخذ عن خلق كثير منهم أبو عبد الله بن يسر وأبو إسحاق الصنهاجي العطار، وأخذ عنه كذلك خلق كثير منهم أبو زيد عبد الرحمن البجائي وأبو جعفر بن صفوان، له تآليف عديدة منها: "عنوان الدليل برسوم خط التنزيل"و" الاقتضاب والتقريب للطالب اللبيب"، توفي سنة 721 هـ. (ينظر: الدباغ، من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني، ص9-78).

(8) ذكرها جمع من المترجمين، منهم: ابن مريم، البستان، ص211.

(9) هو محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك، إمام نحوي، ولد سنة 600هـ، سمع من =

8. أرجوزة في علم الميقات؛ تحوي سبعمائة وألف بيت: سمّاها المقنع الشافي[1].

9. أرجوزة في الفرائض: سمّاها منتهى الأماني[2]؛ اختصر فيها أرجوزة التلمساني[3].

10. عمل عقيدة أهل التوحيد المُخرجة من ظُلمة التقليد[4].

11. الآيات الواضحات[5] في وجوه دلالة المعجزات[6].

12. الشرح الأكبر على البردة[7]: سمّاه إظهار صدق المودة في شرح

=خلق كثير على رأسهم أبي الحسن السخاوي وأبي عمرون، وأخذ عنه خلق كثير منهم ولده بدر الدين محمد وشمس الدين بن جعوان، من تصانيفه: "لامية الأفعال" و"سبك المنظوم وفك المختوم"، توفي سنة 672هـ بدمشق. (ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 3/285-289).

(1) ذكرها جمع من المترجمين، منهم: محمد بن يحي القرافي، توشيح الديباج، ص154.

(2) البلوي، ثَبَت البلوي، ص293.

(3) هو إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني السبتي، أبو إسحاق، فقيه مبرز في العدد والفرائض، والذي أكبّ على دراستها جمع غفير من العلماء، ولد بتلمسان سنة 609هـ، أخذ العلم عن خلق كثير منهم: أبو بكر بن محرز وعلي بن بن عصفور الهواري، وروى عنه خلق كثير منهم: أبو عبد الله بن عبد الملك، له تصانيف كثيرة منها: منظومات في السير ومقالة في علم العروض، توفي سنة 690هـ. (ينظر: ابن فرحون، الديباج المذهب، 1/274-275).

(4) ذكرها جمع من المترجمين، منهم: السخاوي، الضوء اللامع، (7/51).

(5) عند القرافي في التوشيح، ص155؛ والسّخاوي في الضوء اللامع، (7/51): [الآيات البيّنات].

(6) ابن مريم، البستان، ص211.

(7) قصيدة في مدح النَّبي ﷺ، لأبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري [608/696هـ – 1212/1296م]. (ينظر: الزركلي، الأعلام 6/139).

البردة[1].

13. الشرح الأوسط على البردة: لم يثبت له عنوان في المصادر التي ترجمة للإمام على حسب الاطلاع[2].

14. الشرح الأصغر: سمّاه الاستيعاب لما في البردة من البيان والبديع والإعراب[3].

15. شرح جمل الخونجي: سمّاه نهاية[4] الأمل في شرح كتاب الجمل[5].

16. الدليل المومي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي[6].

17. أنواع الدَّراري[7] في مكرّرات البخاري[8].[9].

18. نور[10]اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين: تكلّم فيه على رجال

---

(1) ذكرها جمع من المترجمين، منهم: ابن مريم، البستان، ص210.

(2) المصدر السابق، ص210.

(3) ذكرها جمع من المترجمين، منهم: السخاوي، الضوء اللامع، (50/7).

(4) عند القرافي في التوشيح، ص155؛ والبغدادي في هدية العارفين، (192/2): [منتهى الأمل].

(5) ذكرها جمع من المترجمين، منهم: ابن مريم، البستان، ص210.

(6) ذكره جمع من المترجمين منهم: ابن مريم، البستان، ص211.

(7) عند السخاوي في الضوء اللامع، (50/7): [أنواع الذراري].

(8) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجُعفي مولاهم البخاري، أبو عبد الله، من كبار المحدّثين، ولد يوم الجمعة 13 شوال 194هـ، روى عن خلق كثير منهم عبيد الله بن موسى العغيسى ومكي بن إبراهيم البلخي وابن المغيرة، وروى عنه خلق كثير منهم محمد بن نصر المرزوي وابن خزيمة، من تآليفه: "الجامع الصحيح". توفي يوم السبت لغرة شوال سنة 256 هـ. (ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، 3/508-511).

(9) ذكرها جمع من المترجمين، منهم: عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات، (525/1).

(10) عند المقري في نفح الطيب، (429/5): [أنوار اليقين].

المقامات كالنقباء والنجباء والبدلاء[1].

19. اغتنام[2] الفرصة في مُحادثة عالم قفصة: وهي أجوبة عن مسائل في فنون العلم وردت عليه أجب عنها[3].

20. المفاتيح[4] القرطاسية في شرح الشقراطيسية[5].

21. الذخائر القراطيسية في شرح الشقراطيسية[6].

22. المفاتيح المرزوقية في استخراج رموز[7] الخزرجية[8].

23. تأليف في ترجمة ومناقب شيخه إبراهيم المصمودي[9].

24. النصح الخالص في الرّد على مدّعي رتبة الكامل للناقص[10].

25. الروض البهيج في مسائل الخليج[11].

---

(1) ذكرها جمع من المترجمين، منهم: السخاوي، الضوء اللامع، (7/51).

(2) عند القرافي في التوشيح، ص154؛ والسخاوي في الضوء اللامع: [انتهاز الفرصة].

(3) ذكرها جمع من المترجمين، منهم: ابن مريم، البستان، ص210.

(4) عند المقري في نفح الطيب، (5/429): [الغاية القرطاسية].

(5) ذكرها جمع من المترجمين منهم: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص506.

(6) ذكرها جمع من المترجمين منهم: إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، (2/192).

(7) عند السخاوي في الضوء اللامع، (7/51): [خبر الخزرجية]، وعند إسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين: [المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية]، (2/192).

(8) ذكره جمع من المترجمين منهم: أحمد المقري، نفح الطيب، (5/429).

(9) ذكره جمع من المترجمين منهم: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص507.

(10) ذكره جمع من المترجمين منهم: محمد بن يحي القرافي، توشيح الديباج، ص155.

(11) ذكره جمع من المترجمين منهم: إسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، (1/588).

26. المعراج إلى[1] استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج؛ أجاب فيها الإمام ابن مرزوق على مسائل نحوية ومنطقية[2].

27. مختصر الحاوي في الفتاوى لابن عبد النور[3] السلفي التونسي[4].

28. الدليل الواضح المعلوم في طهارة كاغد[5] الروم[6].

29. تفسير سورة الإخلاص على طريقة الحكماء[7].

30. تفسير سورة المائدة ومريم[8]

31. إسماع الصُّم في إثبات الشرف من قبل الأم؛ وسمّاه المهم[9].

32. شرح التسهيل؛ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك[10].

33. شرح ابن الحاجب الفرعي[11].

---

(1) عند ابن مريم في البستان، [في استمطار]، ص210.

(2) ذكره جمع من المترجمين منهم: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص507.

(3) هو محمد بن محمد بن عبد النور الحميري التونسي، أبو عبد الله، كان من صدور العدول المبرزين، أخذ عن خلق كثير منهم أبو القاسم بن زيتون وأبو محمد بن برطلة الأزدي، ألَّف في علوم عدَّة منها: "نفحات الطيب في اختصار تفسير ابن الخطيب"و"الحاوي في الفتاوى"، كان حيا عام 726 هـ. (ينظر: ابن فرحون، الديباج المذهب، 2/330، 331).

(4) ذكره جمع من المترجمين منهم: أحمد المقري، نفح الطيب، (5/430).

(5) عند القرافي في التوشيح، ص155؛ والسخاوي في الضوء اللامع، (7/51): [ورق الروم].

(6) ذكره جمع من المترجمين منهم: ابن مريم، البستان، ص211.

(7) ذكرها جمع من المترجمين منهم: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص291.

(8) ينظر: محمد بن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، ص315.

(9) ذكرها جمع من المترجمين منهم: محمد بن يحي القرافي، توشيح الديباج، ص156.

(10) ذكره جمع من المترجمين منهم: إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، (2/192).

(11) ذكره جمع من المترجمين منهم: ابن مريم، البستان، ص211.

34. النور البدري في التعريف بالمقري[1].[2].

35. الاعتراف في ذكر ما في لفظ أبي هريرة[3] من الانصراف[4].

36. ديوان خطب[5].

37. أشرف الطرف الملك الأشرف[6].

---

(1) هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن القرشي التلمساني الشهير بالمقرّي، أبو عبد الله، قاضي الجماعة، ولد أيام أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان بتلمسان ونشأ بها، أخذ العلم عن خلق كثير منهم أبو عبد الله السلوي وإبراهيم بن حكيم البلوي، وأخذ عنه خلق كثير منهم الشاطبي وابن خلدون وأبو محمد بن جزي، من تصانيفه: "القواعد" و"عمل من طب لمن حب"، توفي على الأرجح سنة 758هـ بفاس، ثم نُقل من قبره إلى تلمسان، ودُفن بعرصته داخل تلمسان من أجياد. (ينظر: السَّملالي، الإعلام بمن حلَّ مراكش وأغمات من الأعلام، 4/382-408).

(2) ذكره جمع من المترجمين منهم: أحمد المقري، نفح الطيب، (5/204).

(3) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي؛ أبو هريرة، اختلف في اسمه على نحو لم يقع في اسم أحد غيره والمشهور أنه كان يسمى عبد شمس فغُيّرَ بعد الإسلام إلى عبد الله وقيل إلى عبد الرحمن بن صخر الدوسي، وقد غلبت كنيته على اسمه، قيل إِنَّه كُنّي بها لأَنَّه كانت له هريرة (قطة صغيرة) يلعب بها، وقيل إِنَّ النبي ﷺ رآها في كمه فدعاه أبا هريرة، صحابي جليل، أسلم بين الحديبية وخيبر، وكان أحفظ الصحابة لحديث رسول الله ﷺ وهو من أهل الصفة، دعا له النَّبي أن يحبّبه إلى المؤمنين، حدَّث عن خلق كثير منهم أبو بكر وعمر والفضل بن العباس، وروى عنه خلق كثير منهم ابن عمر وابن عباس وجابر، توفي سنة 57هـ، والراجح القول الأول، وصلَّى عليه الوليد بن عتبة، رُوِي عنه 5374 حديثا. (ينظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، 13/ 29-59).

(4) ذكره جمع من المترجمين منهم: إسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، (1/97)؛ أمّا التنبكتي وابن مريم: نسباه إلى ابن العباس التلمساني.

(5) ذكره جمع من المترجمين منهم: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص507.

(6) انفرد بذكره: إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، (2/192).

38. المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبي الحسن[1].[2]

39. مجموعة أجوبة وفتاوى نقلها المازوني في نوازله، والونشريسي في المعيار[3].

40. برنامج الشوارد[4].

41. فهرسته[5].

42. مسائل فقهية[6].

43. قصيدة في الدّعاء والابتهال.

---

(1) هو علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني لُقّب بالمنصور بالله، أبو الحسن، ولد في صفر سنة 697هـ بتيفرديون، بُويع للخلافة بعد وفاة أبيه سنة 731هـ بعهد منه، من صفاته: أَنَّه كان عفًا مائلا إلى التقوى، لم يشرب الخمر قط في صغره ولا كبره، مُحبا في الصُلحاء، عدلاً في رعيته، أحد عظماء ملوك مدينة فاس؛ بل كان ضخم المُلك، مُتَّسع السلطان، ملك المغرب بأجمعه، دامت دولته 20 سنة و3 أشهر ويومين، توفي مسموما ليلة الثلاثاء 27 ربيع الأول سنة 752هـ، ودُفن بشالة من رباط الفتح، وخلفه ابنه أبو عنان فارس. (ينظر: المكناسي، جذوة الاقتباس، 2/461-462).

(2) وَهمَ صاحب كتاب هدية العارفين فنسبه للحفيد وهو للخطيب. (ينظر: إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، 2/192).

(3) ذكرها التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ص143.

(4) وَهمَ عادل نويهض في كتابه معجم أعلام الجزائر بنسبته لابن مرزوق الحفيد، ولكن هو لأبي القاسم بن محمد مرزوق بن عظوم المرادي القيرواني المولود في سنة 930 هـ/1523م تقريبا، الذي أخذ عن الشيخ أحمد العيسي التونسي، من تآليفه: " كتاب الأجوبة"، توفي سنة 1013 هـ/1604م (ينظر: محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، 1/292).

(5) ينظر: محمد بن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، ص316.

(6) ينظر: المصدر نفسه، ص316.

الفرع الثاني: المؤلفات غير المكتملة

1. المتجر الربيح والسعي الرجيح والمرحب الفسيح[1]شرح الجامع الصحيح[2].

2. إيضاح المسالك على ألفية ابن مالك؛ انتهى إلى اسم الإشارة أو الموصول[3].

3. شرح شواهد الألفية[4].

4. المنزع النبيل في شرح مختصر خليل[5].[6].

5. روضة الأديب[7] ومنتهى أمل اللبيب في شرح التهذيب[8].

---

(1) عند التنبكتي في نيل الابتهاج، ص507: [والرحب الفسيح]، ولا يوجد لفظ: [الرجيح].

(2) ذكره جمع من المترجمين منهم: ابن مريم، البستان، ص211.

(3) ذكره جمع من المترجمين منهم: محمد بن يحي القرافي، توشيح الديباج، ص156.

(4) وصل إلى باب: كان وأخواتها؛ ذكره جمع من المترجمين منهم: إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، (192/2).

(5) هو خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المعروف بالجندي، ضياء الدين، أبو المودة، صاحب الكرامات العديدة، أخذ عن خلق كثير منهم ابن عبد الهادي وأبو عبد الله المنوفي، وأخذ عنه كذلك خلق كثير منهم خلف النحريري ويوسف البساطي، له مؤلفات كثيرة منها: "شرح ابن الحاجب" و"المختصر في الفقه المالكي"، توفي في 13 ربيع الأول 776ه على الأرجح. (ينظر: محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، 223/1).

(6) شرح منه كتاب الطهارة (مجلدين)، ومن الأقضية إلى آخره (سفرين)؛ ذكره جمع من المترجمين، منهم: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص507.

(7) عند ابن مريم في البستان، ص211؛ والتنبكتي في كفاية المحتاج، (143/1): [روضة الأريب].

(8) ذكره جمع من المترجمين منهم: السخاوي، الضوء اللامع، (51/7).

هكذا كان ابن مرزوق الحفيد بحرًا من العلوم والمعارف الإسلامية المتنوعة، وشيخا وأستاذًا لجيل بحاله من الشيوخ والعلماء وطلاب العلم في مختلف أنحاء العالم الإسلامي الواسع شرقا وغربا.

فصارت بعد ذلك بعض مؤلفاته مرجعا لمن جاء بعد ذلك القرن، وفي عالم المخطوطات اليوم كثير من هذه المؤلفات وهي من الكثرة بحيث تستدعي جهدا كبيرا من أجل إخراجها إلى عالم الطبع بعد أن ظلّت قرونا رهينة الزوايا والخزائن والمكتبات الخاصة.

المطلب السادس
وفاة الإمام ابن مرزوق الحفيد

انطفأ القنديل الذي كان يضيء ربوع تلمسان والعالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه حيث توفي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عشية الخميس عند العصر رابع عشر 14 من شعبان سنة اثنين وأربعين وثمانمائة 842 لهجرة النبي ﷺ، الموافق 30 جانفي (يناير) تسعة وثلاثين وأربعمائة وألف من ميلاد المسيح عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، وصُلِّيَ عليه بالجامع الأعظم بعد صلاة الجمعة، ودُفن بالروضة[1] المعروفة هناك بغربي المسجد، وكانت له جنازة عظيمة حضرها السلطان والعلماء، وكبار رجال الدولة وخلَّف من ورائه ابنه الكفيف ابن مرزوق، وحفيده من ابنته حفصة ابن مرزوق الخطيب، وأسف النّاس لفقده.

وآخر بيت سُمع منه قرب موته:

إن كان سفك دمي أقصى مرادكم .:. فما غلت نظرة منكم بسفك دمي[2]

مات بتلمسان، عن عُمُر يناهز ست وسبعين سنة[3]، ولم يخلف بعده مثله في فنونه في المغرب وممن قال بذلك: القلصادي وزَرُّوق[4]،

---

(1) هذه الروضة مَدفَن العالم الصالح أحمد بن الحسن الغماري (ت 874 ه)، وقد حُوّلَت زاويته أخيرًا إلى وزارة الشؤون الدينية والأوقاف (الجزائر)، أمّا ضريحه فمازال قائما إلى الآن. [هذا الكلام منقول عن محقق كتاب رحلة القلصادي].

(2) ينظر: القلصادي، رحلة القلصادي، ص97- 98.

(3) ينظر: محمد بن يحي القرافي، توشيح الديباج، ص155.

(4) هو أحمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى البرنوسي الفاسي دارًا الشهير بزروق، أبو العباس، ولد يوم 28 محرم 846ه، أخذ عن خلق كثير منهم علي السطي وعبد الله الفخار، وأخذ عنه كذلك خلق كثير منهم القسطلاني والشمس اللقاني، من مؤلفاته: " كتاب النصح الأنفع والجُنّة للمعتصم من البدع بالسُنَّة "، توفي في صفر سنة 899ه بتكرين قرب طرابلس. (ينظر: التليدي، المطرب في مشاهير أولياء المغرب، ص147-153).

والسَّخاوي[1] وغيرهم[2].

يقول عبد الحي الكتاني[3]: مات سنة 842هـ بتلمسان، وقبره شهير يُزار، وقفتُ عليه بها[4].

أمّا أحمد المقري فقال أَنَّه توفي بمصر[5].

وكذلك وَهمَ صاحب كتاب هدية العارفين، فقال أَنَّه توفي بالقاهرة، وأَنَّه يُلَقَّبُ بشمس الدين[6].

---

(1) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السَّخاوي القاهري الشافعي، أبو الخير، نزيل الحرمين الشريفين، يلقَّب بالحافظ، ولد في ربيع الأول 831هـ، أخذ عن جماعة منهم ابن حجر العسقلاني والبرهان الزَّمزَمي، وممّن أخذ عنه كذلك جماعة منهم إبراهيم بن موسى الطرابلسي وأحمد بن محمد بن أحمد البسكري، له مصنفات كثيرة منها: "الجواهر والدرر في ترجمة الشيخ ابن حجر" و"المقاصد الحسنة في الأحاديث الجارية على الألسنة"، توفي يوم الأحد 28 شعبان سنة 902هـ بالمدينة المنورة. (ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، 10/23-25).

(2) ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص508.

(3) هو محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي المعروف بعبد الحي الكتاني، ولد سنة 1305هـ بفاس، نشأ بها وتعلَّم، أخذ عن جماعة منهم خاله أبو المواهب جعفر بن إدريس الكتاني وأبو عبد الله محمد بن قاسم القادري، كان عالما بالحديث ورجاله، لكنَّه اعتقل عدَّة مرات؛ لأَنَّه كان على غير ولاء للأسرة العلوية المالكة بالمغرب، من تصانيفه: "المخبر الفصيح عن أسرار غرامي صحيح" و"المباحث الحسان المرفوعة إلى قاضي تلمسان"، توفي سنة 1382 هـ/1962م بباريس. (ينظر: الزركلي، الأعلام 6/187-188).

(4) ينظر: عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات، (1/524).

(5) ينظر: أحمد المقري، نفح الطيب، (5/427).

(6) ينظر: إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، (2/191).

المبحث الثالث

جهود الإمام ابن مرزوق الحفيد في الفتوى

كان الإمام محمد بن مرزوق الحفيد من خيرة العلماء الذين أنجبتهم تلمسان؛ ليكونوا مصابيح الدُّجى لأهل تلمسان خاصة، والمغرب الأوسط عامَّة، الذين توالت عليهم مِحَنُ الزمان، سواء الضعف والتشرذم، أو تكالب الدول الشقيقة قبل المعادية.

فكان مثالا للمفتي الحقيقي، حيث نهض بوظيفة الإفتاء، وإن لم يكن معيَّنًا بمرسوم مَلَكي، وتوفرت فيه صفات المفتي؛ وهذا ما شهد له به التلاميذ، بحيث يجيب المستفتين العوام منهم والعلماء.

أسهم بقسط كبير في تلبية حاجات معاصريه الدينية من أهل تلمسان وخارجها، ودلّ إلى معرفة أحكام الله فيما نزل بالناس من وقائع التي لم يجدوا لها حلاً، فترك ثروة فقهية تمثّلت في فتاويه التي تزيّنت بها مصادر النوازل المالكية كالمعيار المعرب للونشريسي، والدرر المكنونة للمازوني، وغيرها ممّا لم يصلنا.

وفي المطالب الآتية بيان ذلك:

المطلب الأول: مصادر فتاوى الإمام ابن مرزوق الحفيد من الكُتُب والأعلام.

المطلب الثاني: موضوعات فتاوى الإمام ابن مرزوق الحفيد.

المطلب الثالث: منهج وأسلوب الإمام ابن مرزوق الحفيد في فتاويه.

المطلب الرابع: مكانة فتاوى الإمام ابن مرزوق الحفيد العلمية ومستفتيه.

المطلب الأول
مصادر فتاوى الإمام ابن مرزوق الحفيد من الكُتُب والأعلام

إِنَّ المتتبع لفتاوى الإمام محمد بن مرزوق الحفيد يجد أَنَّ المادّة الفقهية والثروة العلمية، نِتَاج ما استفاده من العلوم التي أخذها عن شيوخه سواء العلوم الشرعية منها، أو الأدبية، وحتى علم المنطق، حيث نجده يوظف هذا العلم في دراسته للفتاوى الطويلة، أو ما نَهَله من الكتب التي رواها بالسَّند المتَّصل إلى أصحابها في العهود الإسلامية السالفة، أو حتى في عصره.

فأصبحت هذه المصادر محفوظة في الذهن في الغالب الأعمّ بحكم تعليمها للطلبة، أو جعلها مصادر لمؤلفاته الكثيرة، وقد تتقلّص أحيانا حينما تُورَد النازلة؛ لصعوبتها أثناء التطبيق العملي بخلاف القاضي.

وقد أَيْنَعَت تلك المعلومات بما وهبه الله تعالى من حافظة قوية، وذاكرة حاضرة، وفطنة وقّادة، وذكاء حادّ يظهر من خلال طرح عدد من العلماء لأسئلتهم، وضبطها وتفادي الخطإ فيها.

فالمتتبّع لفتاوى الإمام ابن مرزوق الحفيد يلفت نظره ويستَوْقفه كثيرًا وفرة المصادر وتنوعها؛ سواء وردت بذكر مؤلفيها، أو لم تقترن بذكرهم، حيث لم يكتف بذكر كتب الشريعة الإسلامية، بل تعدَّاها إلى علوم أخرى كالأدب وغيره، وهذا ما سيلَاحظ حين إدراج المصادر التي تنبئ عن حركة الفتاوى بها.

الفرع الأول: مصادر فتاويه من الكتب

- **القرآن الكريم:**

اعتمد على القرآن الكريم اعتمادا جليا؛ كونه المصدر الأول في التشريع، ومن تتبّع الفتاوى يجدها كثيرة[1].

- **الحديث الشريف:**

ما يمكن قوله عن آيات القرآن الكريم، يقال كذلك عن الأحاديث النبوية الشريفة؛ باعتبار أَنَّها ثاني مصادر التشريع بعد القرآن الكريم، بل هناك مسائل وردت عامّة في القرآن الكريم، تجد السنّة المطهّرة وضّحتها، وفصّلتها على أحسن وجه، أمّا من حيث ورودها في الفتاوى، فنجده من الكثير الذي يطول المقام بذكره[2].

- **موطأ الإمام مالك:**

يعتبر موطأ الإمام مالك أصل يُعتمد عليه في المذهب وله روايات كثيرة منها رواية يحي بن يحي الليثي، قال عنه ابن رشد: "...ويروى أنه ما بعد كتاب الله كتاب أصح من موطأ مالك:"[3]. ورد ذكره في الفتاوى كثيرا[4].

---

(1) مثال ذلك: فتوى "غسل الكافر إذا أسلم". (المازوني، الدرر المكنونة، 1/455-468).

(2) مثال ذلك: فتوى "الحكمة في الحث على نكاح الأبكار". (الونشريسي، المعيار المعرب، 5/3).

(3) ابن رشد، المقدّمات الممهّدات، (44/1).

(4) مثال ذلك: فتوى "الجمع بين الصلاتين في السفر". (المازوني، الدرر المكنونة، 630/2).

▪ **المدونة الكبرى:** لابن القاسم برواية الإمام سحنون:

هي أصل المذهب المالكي، وعمدة الفقهاء في القضاء والإفتاء، والمرجح روايتها على سائر الأمهات[1]، قال عنها صاحب كتاب المقدّمات: "...ولا بعد الموطأ ديوان في الفقه أفيد من المدونة. والمدونة هي عند أهل الفقه ككتاب سيبويه عند أهل النحو، وككتاب إقليدس عند أهل الحساب، وموضعها من الفقه موضع أم القرآن من الصلاة، تجزئ من غيرها ولا يجزئ غيرها منها"[2]، أمّا من حيث ورودها في الفتاوى، فنجده كثيرا[3].

▪ **الواضحة:** عبد الملك بن حبيب:

لم يؤلف مثلها، وذكر ابن حزم واضحة ابن حبيب فقال: "المالكيون لا تمانع بينهم في فضلها، واستحسانهم إياها"[4]. ورد ذكرها في الفتاوى في مواضع عديدة[5].

▪ **العتبية أو المستخرجة:** محمد بن أحمد العتبي:

قال فيها ابن حزم "لها عند أهل إفريقية القدر العالي، والطيران

(1) ينظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، (3/299).
(2) ابن رشد، المقدّمات الممهّدات، (1/44).
(3) مثال ذلك: فتوى "مسألة في القيام بالغبن". (الونشريسي، المعيار المعرب، 5/363).
(4) أحمد المقري، نفح الطيب، (3/171).
(5) مثال ذلك: فتوى "من تزوج امرأة بصيد فأحرم ثم طلقها قبل البناء والصيد بيده". (الونشريسي، المعيار المعرب، 3/16).

الحثيث"[1]. تعدّد ذكرها في الفتاوى[2].

▪ **الموازية:** محمد بن إبراهيم المعروف بابن المواز:

من أجلّ الكتب التي ألّفها قدماء المالكية، وأصحّها مسائل، وأبسطها كلاما وأوعبها، وقد ذكرها أبو الحسن القابسي، ورجّحها على سائر الأمهات[3]. ورد ذكرها في الفتاوى باسم كتاب ابن المواز[4].

هذه الأمهات الأربعة التي أوجز الكلام عليها ابن خلدون في المقدّمة حيث قال: "ولم تزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الأمّهات بالشّرح والإيضاح والجمع فكتب أهل إفريقية على المدوّنة ما شاء الله أن يكتبوا...."[5]

▪ **مختصر ابن الحكم:**

ورد ذكره في الفتاوى كثيرا[6].

▪ **تهذيب المدونة:** خلف بن القاسم المعروف بالبرادعي:

---

(1) أحمد المقري، نفح الطيب، (3/171).

(2) مثال ذلك: فتوى "تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغذ الروم". (المازوني، الدرر المكنونة، 1/323).

(3) ينظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، (4/169).

(4) مثال ذلك: فتوى "من تزوج امرأة بصيد فأحرم ثم طلّقها قبل البناء والصيد بيده". (الونشريسي، المعيار المعرب، 3/17).

(5) عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، (1/569).

(6) مثال ذلك: فتوى "الورق الإسلامي لا يصنع إلا في الأندلس وفي فاس". (الونشريسي، المعيار المعرب، 1/99).

ورد ذكرها في الفتاوى كثيرا[1].

- **النوادر والزيادات:** ابن أبي زيد القيرواني:
  ورد ذكره في الفتاوى[2].
- **الجامع الصحيح:** محمد بن إسماعيل البخاري:
  ورد التعرض إليه في الفتاوى كثيرا[3].
- **الجامع الصحيح:** مسلم بن الحجاج النيسابوري:
  ورد التعرض إليه في الفتاوى كثيرا[4].
- **الجامع الصحيح:** محمد بن عيسى الترمذي:
  ورد التعرض إليه في الفتاوى كثيرا[5].
- **سنن أبي داود:** سليمان بن الأشعث السجستاني:
  ورد ذكره في الفتاوى كثيرا [6].
- **المقدمات الممهّدات:** محمد بن أحمد ابن رشد (الجد):
  ورد ذكره في الفتاوى كثيرا[7].

---

(1) مثال ذلك: فتوى "تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغذ الروم". (المازوني، الدرر المكنونة، 319/1).

(2) مثال ذلك: فتوى "استشكال قول ابن رشد". (الونشريسي، المعيار المعرب، 149/4).

(3) مثال ذلك: فتوى "كراهة إمامة المأبون". (الونشريسي، المعيار المعرب، 128/1).

(4) مثال ذلك: فتوى "سلخ جلد الإنسان ". (المازوني، الدرر المكنونة، 254/1).

(5) مثال ذلك: فتوى "تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغذ الروم". (المازوني، الدرر المكنونة، 315/1)

(6) مثال ذلك: فتوى "من لم يجد ماء ولا تراب". (الونشريسي، المعيار المعرب، 52/1).

(7) مثال ذلك: فتوى "استشكال قول ابن رشد...". (الونشريسي، المعيار المعرب، 150/4).

- **فتاوى أو نوازل أو أجوبة ابن رشد:** محمد بن أحمد ابن رشد (الجد):

ورد ذكره في الفتاوى كثيرا[1].

- **البيان والتحصيل:** محمد بن أحمد ابن رشد (الجد):

ورد ذكره في الفتاوى كثيرا[2].

- **النوادر والزيادات:** ابن أبي زيد القيرواني:

ورد ذكره في الفتاوى[3].

- **الرسالة:** ابن أبي زيد القيرواني:

ورد ذكره في الفتاوى[4].

- **التبصرة:** أبو الحسن اللخمي:

ورد ذكره في الفتاوى كثيرا[5].

- **المجموعة:** محمد بن عبدوس:

ورد ذكره في الفتاوى كثيرا[6].

- **التبصرة:** ابن محرز:

---

(1) مثال ذلك: فتوى "نوازل الجهاد". (الونشريسي، المعيار المعرب، 108/2).

(2) مثال ذلك: فتوى"هل ينوب غسل الجمعة عن الوضوء". (المازوني، الدرر المكنونة، 504/1).

(3) مثال ذلك: فتوى "استشكال قول ابن رشد...". (الونشريسي، المعيار المعرب، 149/4).

(4) مثال ذلك: فتوى"ما يجوز مسّه من أعضاء الميت عند غسله". (المازوني، الدرر المكنونة، 681/2).

(5) مثال ذلك: فتوى "سلخ جلد الإنسان ". (المازوني، الدرر المكنونة، 255/1).

(6) مثال ذلك: فتوى "مسألة في سور البلد إذا تهدم ولا حبس عليه...". (الونشريسي، المعيار المعرب، 348/5).

ورد ذكره في الفتاوى كثيرا[1].

- **الإشراف على نكت مسائل الخلاف:** القاضي عبد الوهاب البغدادي:

ورد ذكره في الفتاوى[2].

- **التمهيد والاستذكار:** يوسف بن عبد الله بن عبد البر:

ورد ذكرهما في الفتاوى كثيرا[3].

- **المنتقى شرح موطأ:** سليمان بن خلف الباجي:

ورد ذكره في الفتاوى كثيرا[4].

- **القبس شرح الموطأ:** أبو بكر بن العربي:

ورد ذكره في الفتاوى كثيرا[5].

- **التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة:** القاضي عياض السبتي:

ورد ذكره في عدد كثير من الفتاوى[6].

---

(1) مثال ذلك: فتوى "الجمع بين الصلاتين في السفر". (المازوني، الدرر المكنونة، 2/625).

(2) المصدر نفسه، (2/625).

(3) مثال ذلك: فتوى "الجمع بين الصلاتين في السفر لا يختص بالطويل". (الونشريسي، المعيار المعرب، 1/207).

(4) مثال ذلك: فتوى "تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغذ الروم ". (المازوني، الدرر المكنونة، 1/345).

(5) مثال ذلك: فتوى "الورق الإسلامي لا يصنع إلا في الأندلس وفي فاس". (الونشريسي، المعيار المعرب، 1/87).

(6) مثال ذلك: فتوى "تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغذ الروم". (المازوني، الدرر المكنونة، 1/385).

▪ **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك:** القاضي عياض السبتي:

ورد ذكره في عدد من الفتاوى[1].

▪ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى:** القاضي عياض السبتي:

ورد ذكره في الفتاوى[2].

▪ **إكمال المعلم بفوائد مسلم:** القاضي عياض السبتي:

ورد ذكره في الفتاوى كثيرا[3].

▪ **المعلم بفوائد مسلم:** محمد بن علي المازري:

ورد ذكره في الفتاوى[4].

▪ **المختصر في القه المالكي:** محمد بن محمد بن عرفة الورغمي:

ورد ذكره في عدد كثير من الفتاوى[5].

▪ **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول:** محمد بن أحمد الشريف التلمساني:

ورد ذكره في الفتاوى[6].

---

(1) المصدر نفسه، (315/1).

(2) مثال ذلك: فتوى "كراهة إمامة المأبون". (المازوني، الدرر المكنونة، 605/2).

(3) مثال ذلك: فتوى "كراهة إمامة المأبون". (الونشريسي، المعيار المعرب، 128/1).

(4) مثال ذلك: فتوى "استشكال قول المازري... ". (الونشريسي، المعيار المعرب، 38/2).

(5) مثال ذلك: فتوى "الصلاة لمن ينتقض وضوؤه عند مس الماء". (الونشريسي، المعيار المعرب، 33/1).

(6) مثال ذلك: فتوى "فاقد الطهورين يحرم بالصلاة ثم يخرج منه ريح". (المازوني، الدرر المكنونة، 440/1).

- **التقييد على تهذيب المدونة:** أبو الحسن الصُغَيّر:
ورد ذكره في مواضع كثيرة من الفتاوى[1].
- **مختصر خليل:** خليل بن إسحاق الجندي:
ورد ذكره في الفتاوى[2].
- **طبقات الفقهاء:** عبد الوهاب بن علي السبكي:
ورد ذكره في الفتاوى[3].

هذا، ولم يغفل الإمام محمد بن مرزوق الحفيد ذِكْر مصادر الكتب عند المذاهب الأخرى، بل كان لها نصيب في فتاويه؛ لتتزيَّن بها وتُقَوِّي حجته حال الإفتاء، وتُبْعِدَ عنه شُبَهَ التعصّب المذموم.

ومن هؤلاء المصادر نجد على سبيل المثال:
- **أبكار الأفكار في الأصول:** علي بن محمد الآمدي.
- **نهاية الإقدام في علم الكلام:** محمد بن عبد الكريم الشهرستاني.
- **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في الاعتقاد:** لأبي المعالي عبد الملك الجويني.
- **طوالع الأنوار من مطالع الأنظار:** عبد الله بن عمر البيضاوي.

---

(1) مثال ذلك: فتوى "من تزوج من امرأة وشرط ألا يبني بها إلا بعد سنة". (الونشريسي، المعيار المعرب، 13/3).

(2) مثال ذلك: فتوى "إجزاء الوضوء والغسل عن بعضهما". (المازوني، الدرر المكنونة، 472/1).

(3) مثال ذلك: فتوى "الجمع بين الصلاتين في السفر لا يختص بالطويل". (الونشريسي، المعيار المعرب، 205/1).

فلم يكتف بكتب الفقه والعقيدة، بل استعان بالتفسير واللغة العربية وغيرهما من العلوم، فنذكر على سبيل المثال:

- **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد:** محمد بن مالك.
- **الكشّاف:** محمود بن عمر الزمخشري.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:** أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني.
- **الصحاح:** إسماعيل بن حماد الجوهري.
- **سيرة ابن هشام:** عبد الملك بن هشام الحميري.
- **فقه اللغة وسر العربية:** عبد الملك بن محمد الثعالبي.

هذا، وقد أورد مؤلفات كثيرة أقلّ ذكرا من الذين سبقوا، يطول ذكرهم في البحث ولكن يكتفى بالقليل منهم على سبيل المثال:

- **نوازل: ابن الحاج**
- **مختصر:** الوقار
- **الاصطلاح:** لأبي تمام
- **طرر:** ابن عتاب
- **فروع:** ابن الحاجب
- **المغني:** ابن عبد الرفيع
- **الوجيز:** للغزالي
- **النكت:** لابن عبد الحق
- **شرح ابن جماعة:** القباب
- **الممهد:** للقابسي

- **شرح:** ابن بطال
- **شرح التلقين:** للمازري
- **التنبيه:** لابن بشير
- **جامع الأمهات:** لابن الحاجب
- **الذخيرة:** القرافي
- **عقد الجواهر الثمينة:** لابن شاس
- **شرح ابن الحاجب:** لابن عبد السلام
- **مختصر منتهى السول والأمل:** ابن الحاجب
- **كاتب:** ابن فاتح
- **شروح ابن الحاجب:** لابن الحاجب
- **التفريع:** لابن الجلاب.

الفرع الثاني: مصادر فتاويه من الأعلام

اعتمد الإمام محمد بن مرزوق الحفيد على كبار علماء المذهب المالكي وغيرهم من المذاهب الفقهية السُنِّيَة، ابتداءً بإمام المذهب مالك، ثمّ تلامذته، إلى عهد تأسيس المدارس المالكية المختلفة التي انتشرت في بقاع العالم الإسلامي حيث أصبح لكلّ مدرسة علماؤها، وحتى أتباعا من العامّة، وما ميّز الإمام ابن مرزوق الحفيد أَنَّه اعتمد على أقوال الشيوخ الذين تتلمذ عليهم كثيرا؛ حيث ذكرهم في أماكن متعددة، وفتاوى مختلفة مستشهدا بأقوالهم، مستدلا لآرائهم، وكذلك متأخري الفقهاء، وهم على كثرتهم، وكثرة ذكرهم، وهم على النحو الآتي على سبيل المثال:

- مالك بن أنس الأصبحي (ت179هـ)، إمام دار الهجرة.
- عبد الرحمن بن القاسم العتقي (ت191هـ)، ناشر مذهب مالك بمصر.
- أشهب بن عبد العزيز (ت204).
- أبو محمد عبد الله بن نافع المعروف بالصائغ (ت206 هـ).
- عبد الملك بن الماجشون (ت213 هـ).
- عبد الله بن عبد الحكم بن أعين (ت214 هـ).
- مطرف بن عبد الله بن مطرف (ت220 هـ).
- أصبغ بن الفرج (ت226 هـ).
- عبد الملك بن حبيب الأندلسي (ت238 هـ).
- عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي الملقب بسحنون(ت240 هـ).
- محمد بن أبي يحي الوقار (ت269 هـ).
- محمد بن إبراهيم بن زياد المواز (ت281 هـ).
- علي بن عمر البغدادي المعروف بابن القصار (ت378 هـ).
- عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت386 هـ).
- علي بن محمد بن خلف المعافري المعروف بابن القابسي (ت403 هـ).
- القاضي عبد الوهاب بن علي البغدادي (ت422 هـ).
- علي بن خلف بن بطّال القرطبي (ت449 هـ).
- عبد الرحمن بن محرز القيرواني (ت450 هـ).
- محمد أبو بكر بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي (ت451 هـ).
- علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت456 هـ).
- يوسف بن عمر بن عبد البر النَّمري (463 هـ).

- سليمان بن خلف الباجي (ت474 هـ).
- علي بن محمد الربعي المعروف باللخمي (ت478 هـ).
- محمد بن محمد الغزالي (ت505 هـ).
- محمد بن أحمد بن رشد المعروف بالجد (ت520 هـ).
- إبراهيم بن عبد الصمد التنوخي المعروف بابن بشير(ت بعد 526 هـ).
- محمد بن أحمد المعروف بابن الحاج (ت529 هـ).
- محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المعروف بالإمام (ت536 هـ).
- محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت543 هـ).
- عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت544 هـ).
- عبد الله بن نجم بن شاس (ت616 هـ).
- محمد بن عبد الحق التلمساني (ت625 هـ).
- عثمان بن عمر بن الحاجب (ت646 هـ).
- عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم (ت660 هـ).
- أحمد بن إدريس القرافي (ت684 هـ).
- علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي المعروف بالصُّغَيّر (ت719 هـ).
- إبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع التونسي (ت733 هـ).
- محمد بن عبد السلام الهواري التونسي (ت749 هـ).
- محمد بن محمد بن عرفة الورغمي (ت803 هـ).

يعتبر هؤلاء العلماء الأعلام الأكثر ذكرًا في فتاوى الإمام محمد بن مرزوق الحفيد على جميع الأبواب الفقهية المختلفة وغيرها، باعتبارهم وردوا أكثر من أربع مرات في الفتاوى، سواء في كتاب المعيار المعرب أو الدرر المكنونة.

وهناك علماء آخرون وردوا، ولكن بدرجة أقل، باعتبار ذِكْرِهم مرّتين أو ثلاث على الأكثر في الفتاوى، نذكر البعض منهم؛ لأَنَّ ذكرهم يطول، واستقصاؤهم يصعب إدراجه في الموضوع، فيُكتفى بإدراج بعضهم على سبيل المثال:

- عثمان بن عيسى بن كنانة (ت186 هـ).
- عبد الله بن وهب القرشي (ت197 هـ).
- محمد بن أحمد العتبي القرطبي (ت255 هـ).
- يحي بن زكريا بن مزين (ت255 هـ).
- اسماعيل بن إسحاق القاضي البغدادي (ت282 هـ).
- محمد بن عمر بن لبابة القرطبي (ت314 هـ).
- محمد بن إبراهيم بن المنذر (ت314 هـ).
- محمد بن عبد الله الأبهري (ت395 هـ).
- عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت430 هـ).
- عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي (ت586 هـ).
- محمد بن عبد الله بن مالك (ت672 هـ).
- أحمد بن محمد المراكشي المعروف بابن البنا العددي (721 هـ).
- محمد بن سليمان السطي (ت750 هـ).
- محمد بن محمد المقري التلمساني (ت758 هـ).
- محمد بن أحمد المشهور بالشريف التلمساني (ت771 هـ).

المطلب الثاني
موضوعات فتاوى الإمام ابن مرزوق الحفيد

إنَّ المتتبِّع لفتاوى الإمام محمد بن مرزوق الحفيد يجدها عموما عبارة عن مسائل شغلت عقول أهل المغرب الأوسط، وحتى بلاد المغرب الأقصى وتونس، بحيث حدثت لهم أمور طارئة، استوجبت حلّها دينيا، ممّا يستلزم منهم الاستفتاء عنها، حيث كان أغلب الفتاوى لها مُتعلَّق بباب العبادات من طهارة وصلاة وزكاة وصيام وزكاة والجنائز، أمّا باب المعاملات فقد كثُر وروده كذلك حيث تنوعت مسائله وتشعّبت كالنكاح والطلاق والخلع، والدماء والحدود والتعزيرات، وغير ذلك.

بالإضافة إلى بعض الفتاوى التي تتعلّق بالجانب العقدي كالخلط بين صفات الله تعالى، ومسألة مغفرة الصغائر والكبائر.

وكان للعادات التلمسانية، والبدع المنتشرة نصيب من الفتاوى، حيث وردت فتاوى بهذا الشأن[1]، ثمّ إنَّ الإمام ابن مرزوق الحفيد قد أظهر شدّة في مقاومة البدع، فلم يكتف بذلك، بل عارض الذين برروا بعض الفتاوى وسوّغوها.

ونجده في بعض الأحيان يتناول بعض الأحاديث بالشرح والتحليل خاصة في باب العبادة[2].

---

(1) مثال ذلك: فتوى "إيقاد الشمع ليلة مولد النّبي ﷺ وسابعه". (الونشريسي، المعيار المعرب، 471/2).

(2) مثال ذلك: ورد في فتوى "مغفرة الصغائر بفضل الوضوء والصلاة والصيام دون الكبائر". (الونشريسي، المعيار المعرب، 354/12).

فالمتتبع لفتاوى الإمام محمد بن مرزوق يجدها تتميز كثيرا عن فتاوى علماء آخرين؛ لإدراجه في ثنايا فتاويه مباحث أصولية استفاض الذكر فيها بالتحليل والنقاش، مع إعطاء أمثلة تطبيقية للإيضاح[1].

وكثيرا ما يستعمل في فتاويه الإرشاد والنصح، ويختمها بتوصية جامعة، يجعلها الإنسان منهج حياة[2].

وجاءت بعض الفتاوى تناقش قضايا طبيعة المجتمع، وعلاقاته الاجتماعية التي كانت تعاني منها منطقة تلمسان خاصة، والمغرب الأوسط عامّة، ممّا كان له الأثر البالغ في نفوس السكان، وإنكار بعض التصرفات التي اعتُبِرَت في المجتمع التلمساني غير أخلاقية، فجعل النّاس يستفتون عن هذه التصرفات من الناحية الشرعية[3].

إلا أَنَّ فتاوى الإمام محمد بن مرزوق الحفيد نجدها خالية من الفتاوى السياسية كما يُلاحظ، بحيث كان اعتماده على ما يخص العامة سواء من جانب الدين أو الدنيا؛ لأننا نجده يتطرّق إلى جانب الأحباس كثيرا، وإصلاح ذات البين بين النّاس، وكلّ ما يمكن أن ينتفع به العامّة[4].

---

(1) مثال ذلك: "قياس الإخالة وقياس الشبه". (الونشريسي، المعيار المعرب، 190/1).

(2) مثال ذلك: "لا تترك السُنّة لمشاركة المبتدعين فيها". (الونشريسي، المعيار المعرب، 355/12).

(3) مثال ذلك: في فتوى "إمامة من لا يحجب امرأته عن النّاس". (المازوني، الدرر المكنونة، 585/2).

(4) مثال ذلك: فتوى"مسألة في سور البلد إذا تهدم ولا حبس عليه، هل يجب بناؤه على أهل البلد؟ ". (الونشريسي، المعيار المعرب، 347/5).

وهكذا جاءت فتاوى الإمام محمد بن مرزوق الحفيد موزعة على أبواب فقهية، تفاوت حظ كل منها فيما انتمى إليه من الفتاوى، ممّا يعني وُجُود هذا الكمّ الهائل من الفتاوى التي تزخر بها مصادر النوازل، ليُعطي دليلا واضحا على أَنَّ التعرض لفتاوى الإمام ابن مرزوق الحفيد، تعرضٌ لازم؛ نظرا لشخصية الإمام وكذلك لمكانته العلمية، بالإضافة إلى الاهتمام المتزايد بكتب النوازل، ولآراء الإمام الفقهية المؤصّلة على قواعد الشرع الحكيم، ممّا يستنتج أَنَّ الإمام محمد بن مرزوق الحفيد التلمساني كانت له القدرة الكاملة، والتأهيل العلمي والخُلُقي على النهوض بوظيفة الإفتاء على أكمل وجه.

وفي الختام نقول: إِنَّ آثار العلاّمة الفقيه أبي عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد، ما كانت لتَتَبوَّأ المكانة بين فتاوى معاصريه، وتُدَوَّن في مصادر النوازل، إلا لشيء واحد، وهو أَنَّ صاحبها واحد ممّن تزعّموا كرسي الإفتاء في المغرب الأوسط، حيث حَظِيَت فتاويه باهتمام العامّة والخاصة، خصوصا منهم أصحاب النوازل والفتاوى والأسئلة، الذين ما كانوا ليجعلوا مصيرهم وأمرهم الديني والدنيوي لأحسن الفقهاء، إلا بعد ان اتضحت لهم مكانته العلمية.

المطلب الثالث
منهج وأسلوب الإمام ابن مرزوق الحفيد في فتاويه

إذا كان المفتي هو من دارت الفتيا على قوله بين الأنام، وخص دون غيره باستنباط الأحكام وتوظيفها لما ينزل بالناس، وكذلك عُنِي مع المجتهد بضبط قواعد الحلال والحرام، فكان لزاما أن يكون في الأرض بمنزلة النجم المضيء في السماء، وتوجيهه ينير للحيران طريقه في الظلماء، أمّا قوله فلتائه ضياء ونبراس، ولقوله رفعة وعلياء.

الفرع الأول: منهجه في فتاويه

بعد تصفح وتمعّن محتوى فتاوى الإمام محمد بن مرزوق الحفيد، وصياغته لأجوبته، تبين أَنَّه انتهج سبيل أسلافه من فقهاء المالكية من حيث الإفتاء، حيث لم يخرج عن الأصول المعتمدة عندهم.

1. غالبا ما يفتتح أجوبته بحمد الله تعالى والثناء عليه، وخاصة في الأجوبة الطويلة التي تحتاج إلى طول نَفَس، كما هو الحال في قوله:

- "بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم، الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها ومالم أعلم."[1]
- "الحمد لله؛ ما ذكره من الاتفاق في السلخ...."[2]
- "الحمد لله؛ في إعمال تدمية القتيل."[3]
- "الحمد لله حق حمده، وصلَّى الله على سيدنا محمد نبيّه وعبده، وعلى آله

(1) الونشريسي، المعيار المعرب، (371/5).
(2) المازوني، الدرر المكنونة، (255/1).
(3) الونشريسي، المعيار المعرب، (286/2).

وأصحابه، وأهل ودّه."[1]

- "الحمد لله وحده؛ أعلم أَنَّ ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله...."[2]
- "الحمد لله؛ بحثكم بحث حسن، واستدلالكم ظاهر."[3]
- "الحمد لله. جوزيتم خيرا أيها البحر الزخار، وبقية العلماء النظار."[4]

2. يعتمد على النصوص من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، إن توفر منهما ما يتعلق بالمسألة التي يحللها ويفتي الناس فيها، أمّا إذا لم يتوفر فيهما نص لا في الكتاب ولا في السنّة يجتهد في المسألة، منها قوله:

- في حكم الكاغد الرومي "هذه المسألة لم أجد في عينها نصا بعد البحث بقدر طاقتي، وما تقتضيه قلّة بضاعتي."[5]
- "أمّل بناء السور فلم أقف على نص لأهل المذهب في عينه."[6]
- "الحمد لله؛ ما أمكنني من نصوص المتقدّمين من أهل المذهب؛ فما رأيت من نصّ على أَنَّ الجمع بين الصلاتين للسفر يكون في قصيره."[7]
- "آثرت ذكر شيء من الاستدلال مع الحكم."[8]
- "قال ما ذكر بعض الفقهاء من طهارة غير المسفوح لم أقف عليه صريحا

---

(1) المازوني، الدرر المكنونة، (1/303).
(2) الونشريسي، المعيار المعرب، (3/5).
(3) المازوني، الدرر المكنونة، (1/482).
(4) الونشريسي، المعيار المعرب، (4/466).
(5) المازوني، الدرر المكنونة، (1/304).
(6) الونشريسي، المعيار المعرب، (5/348).
(7) المازوني، الدرر المكنونة، (2/625).
(8) الونشريسي، المعيار المعرب، (12/194).

للمتقدّمين."[1]

3. ومن سماته عدم التشدد والحرص على درء المشقة وجلب التيسير.

- "وفي نزعه لكلّ صلاة مشقّة، وفي غسله مشقة."[2]
- "وكذا إباحة أكل مثل هذا الدم؛ إِنَّما هي لرفع الحرج والمشقة."[3]
- "وممّا يشهد لاعتبار الضرورة المبيحة للنسخ في الورق."[4]
- "لكن رُخّص لهما في ذلك لرفع الحرج اللاحق لهما."[5]
- "وحكمته –والله أعلم– مشقة الغسل دون الوضوء، فلا يلزم أيضا من اعتبار الأقوى لما فيه من المشقة اعتبار الأضعف منه باعتبار المشقة مع ما فيه من المصالح."[6]

4. ومن مشارب الإفتاء عند الإمام ابن مرزوق الحفيد بحثه عن الراجح من الأقوال، والمشهور من الآثار في الخروج من مسائل الخلاف، وهكذا تردد عنده عبارات من قبيل:

- في فتوى شواء الرأس قبل غسله"...وأكله أظهر وأقوى."[7]

5. ومن الأصول المعتمدة كذلك في نوازل ابن مرزوق الحفيد القياس بأنواعه، حيث نجده يستعمله كثيرا، كما في قوله:

---

(1)الونشريسي، المعيار المعرب، (1/113).
(2) المازوني، الدرر المكنونة، (1/338).
(3) الونشريسي، المعيار المعرب، (1/114).
(4) المازوني، الدرر المكنونة، (1/341).
(5) المصدر نفسه، (1/342).
(6) المصدر السابق، (1/468).
(7) الونشريسي، المعيار المعرب، (1/11).

- "...وعلى كل تقدير فهو من قياس أحوري."[1]
- "...وهذا قياس من الضرب الأول."[2]
- "ولك تقديره بقياس التمثيل."[3]
- "وإن قررته على نهج قياس الفقهاء."[4]
- "دخل بالقياس المساوي المعنى؛ والله أعلم"[5].
- "فقياس الكاغذ الرومي عليه على القول بطهارته من قياس المساواة."[6]
- "لم يتكرر الوسط في هذا القياس."[7]
- "يصح الاستدلال بجواز بيع هذا الرق على جواز النسخ فيه بقياس الدّلالة."[8]
- "فتختص بالسفر، قياسا على القصر والفطر."[9]

6. وكذلك اعتماده على العرف والعادة في مواضع كثيرة، منها قوله:

- "وحينئذ كان يجب بمقتضى العادة أن يُعدَّ ذلك من البدع المُحدثة."[10]

---

(1) الونشريسي، المعيار المعرب، (32/1).
(2) المازوني، الدرر المكنونة، (309/1).
(3) الونشريسي، المعيار المعرب، (383/4).
(4) المازوني، الدرر المكنونة، (313/1).
(5) الونشريسي، المعيار المعرب، (89/8).
(6) المازوني، الدرر المكنونة، (357/1).
(7) الونشريسي، المعيار المعرب، (202/12).
(8) المازوني، الدرر المكنونة، (364/1).
(9) المصدر نفسه، (635/2).
(10) المصدر نفسه، (344/1).

- "العادة جرت ببيع الأرض القانونية."[1]
- "ووجه استدلالنا من هذا الدليل: كونه استدل بعمل المسلمين."[2]
- "بل يرجع في اليسير والكثير فيه إلى عُرْفِ النّاس."[3]
- "لولا ما جرى من عُرْف الوقت."[4]

7. وكان كثيرا ما يحيل إلى فتاوى الآخرين لتقريب المعنى، وتوجيه رشيد للمستفتي، كما هو الشأن في قوله:

- في فتوى شواء الرأس قبل غسله قوله: "...وفتوى ابن رشد في القملة تقرّب من هذا."[5]
- "كجواب ابن رشد في أسولته فيمن تعتريه نَزْلَة إن غسل رأسه من الجنابة."[6]
- "وفي أجوبة ابن رشد ما يوافق هذا."[7]
- "وتأملوا ما وقع لابن رشد في هذا الموضع من الاعتذار."[8]
- "وعلى هذا المنحى جواب ابن رشد."[9]

---

(1) الونشريسي، المعيار المعرب، (97/5).
(2) المازوني، الدرر المكنونة، (345/1).
(3) الونشريسي، المعيار المعرب، (291/5).
(4) المازوني، الدرر المكنونة، (485/1).
(5) الونشريسي، المعيار المعرب، (11/1).
(6) المازوني، الدرر المكنونة، (421/1).
(7) الونشريسي، المعيار المعرب، (108/2).
(8) المازوني، الدرر المكنونة، (612/2).
(9) الونشريسي، المعيار المعرب، (111/2).

- "كما قال ابن رشد في أجوبته؛ والله تعالى أعلم."[1]

8. كما يُلتمَس منه التزامه المذهب المالكي، منها قوله:

- "...التزامنا الاستدلال بمقتضى نصوص المذهب المالكي."[2]
- "ولبعض فقهاء قرطبة في ذلك إنكار شديد؛ لأَنَّه مخالف لنص الإمام والقدماء من أصحابه."[3]
- "وظاهر كلامه أَنَّ لبعض أصحابنا المالكية فيه نصا."[4]
- "فينبغي التأمّل فيها فيما وافق المذهب وما خالفه."[5]
- "فيتفق أهل المذهب على طهارته."[6]
- "لا تصح مراطلة العبادية ولا الشرقية بمثلها في مذهب مالك."[7]
- "فعلى الظاهر من المذهب ينوي بالثاني الجنابة."[8]
- "وهذه الطريقة عند من طالع أخبار سلف المالكية هي المتعيّنة."[9]
- "لأَنَّ وجود قول صريح في المذهب بأَنَّ التيمم يرفع الحدث رفعا مطلقا عزيز."[10]

---

(1) الونشريسي، المعيار المعرب، (2/113).
(2) المازوني، الدرر المكنونة، (1/375).
(3) الونشريسي، المعيار المعرب، (4/526).
(4) المازوني، الدرر المكنونة، (1/440).
(5) الونشريسي، المعيار المعرب، (4/165).
(6) المازوني، الدرر المكنونة، (1/381).
(7) الونشريسي، المعيار المعرب، (6/107).
(8) المازوني، الدرر المكنونة، (1/488).
(9) الونشريسي، المعيار المعرب، (11/101).
(10) المازوني، الدرر المكنونة، (1/495).

9. كما تتضح منهجية الإمام ابن مرزوق الحفيد باتخاذ القول المشهور في الفتوى المتعددة الأقوال، إما بالتزام المشهور من المذهب أو الترجيح وفق اجتهاده:

- "نص الجواب المكتتب هذا بأسفله عن السؤال المكتتب أعلاه، هو الذي أرتضيه في هذه المسألة وأقول به."[1]
- "...يخشى فوات الوقت على المشهور."[2]
- " لا يقرأ بغير العربية ولا يحرم إلا بها على المشهور."[3]
- "مشهور مذهب مالك أَنَّه نجس."[4]
- "هذا كلّه على المشهور المعمول به في الأحكام من مذهب مالك."[5]
- "وبهذا يترجّح قول ابن عبد الحكم، والله أعلم."[6]
- "وأذكر من كلامه ما يظهر لي أَنَّه متعلّق بالمسألة لتتأمّلوه."[7]
- "...ومشهور مذهب مالك فسخ البيع في الحلال والحرام، ولا يمضي الحلال، ويرد الحرام."[8]
- "والأرجح نقلا كلام الشيخ المفتي، ونظرا وقوة كلام المعترض."[9]

---

(1) الونشريسي، المعيار المعرب، (206/12).
(2) المازوني، الدرر المكنونة، (419/1).
(3) الونشريسي، المعيار المعرب، (59/2).
(4) المازوني، الدرر المكنونة، (357/1).
(5) الونشريسي، المعيار المعرب، (18/3).
(6) المازوني، الدرر المكنونة، (327/1).
(7) الونشريسي، المعيار المعرب، (143/4).
(8) المازوني، الدرر المكنونة، (363/1).
(9) الونشريسي، المعيار المعرب، (330/4).

- "الحمد لله؛ المسألة اختلف فيها العلماء كما علمتم؛ والرّاجح عندي في هذا الزمان أن يُعطى."[1]
- "وإذا بنى فتياه على هذا وصح، فالراجح لزوم الطلاق."[2]
- "وأمّا أنا فالراجح عند من لفظ ابن القاسم في الكبرى والتهذيب بطلان الجميع."[3]

10. كما كانت من منهجية الفقيه التعرض لذكر أقوال العلماء واختلافاتهم في المسألة الواحدة فإنَّه ينبِّه السائل على ذلك، وهذا وجه آخر يؤكد لنا أَنَّ الإمام محمد بن مرزوق الحفيد على اطلاع كبير باختلاف العلماء، فقد قال به في أماكن متعددة، منها قوله:

- "وإذا ثبت اختلافهم في جواز بقْر بطن الميت."[4]
- "في إعمال تدمية القتيل بين الصفين خلاف."[5]
- "واختُلف إن أسْلَم."[6]
- "وقد اختلف فيمن حلف ليذبحنّ حمام يتيمة فوجدها قد ماتت."[7]
- "ففي الملبوس ثلاثة أقوال:...."[8]

---

(1) المازوني، الدرر المكنونة، (2/714).
(2) الونشريسي، المعيار المعرب، (4/332).
(3) المصدر نفسه، (4/467).
(4) المازوني، الدرر المكنونة، (1/258).
(5) الونشريسي، المعيار المعرب، (2/286).
(6) المازوني، الدرر المكنونة، (1/324).
(7) الونشريسي، المعيار المعرب، (4/165).
(8) المازوني، الدرر المكنونة، (1/328).

- "كما قدّمنا من الخلاف فيه، ومسألتنا لا تخرج عن الخلاف."[1]
- "قد اختلفت طُرُق الأشياخ في المسألة الأولى."[2]
- "واختلف هل يحتاج إلى تحريم ورفع يدين عنده."[3]
- "الحمد لله؛ اختلف النّاس في الإكراه على فعل المحرم."[4]

11. وتارة يشير إلى الاختلاف بين العلماء، ثم ينبّه المستفتي على ما تقتضيه المدونة، لقوله في ذلك:

- "وهذا هو وجه الجمع بين المسألتين في المدونة."[5]
- "لا شك أَنَّ مقتضى المدونة اللزوم كما ذكرتم."[6]
- "ما أجازه الأشياخ هو مقتضى قوله في المدونة."[7]

12. كما تظهر منهجيته في انتهاج القول الوسط المبني على الاعتدال والتوسط في الحكم الشرعي تخفيفا للسائل في الأمور التي قد لا تحتاج منه إلى تكليف: منها قوله:

- "وطرحا للمعارض المشكوك في رفعا للضرورة اللاحقة لكثير من الناس."[8]

---

(1) المازوني، الدرر المكنونة، (367/1).
(2) الونشريسي، المعيار المعرب، (100/11).
(3) المازوني، الدرر المكنونة، (655/2).
(4) المصدر نفسه، (664/2).
(5) الونشريسي، المعيار المعرب، (59/2).
(6) المصدر نفسه، (85/2).
(7) المصدر نفسه، (15/3).
(8) المازوني، الدرر المكنونة، (332/1).

- "ولعلّ تيمّمه وتركه الوضوء ممّا يكون سببا في برئه؛ وهذا هو اعتبار الضرر البدني."[1]
- "وإن كان غاية في التحقيق إلا أَنَّه غاية في التكلف، فلذلك تركناه."[2]

13. كما يصرّح أحيانا أَنَّه اعتمد بعض المقاصد الشرعية المعبرة عن روح الشريعة السمحة وعن الاتجاه العام الدين الإسلامي الحنيف، منها قوله:

- "...فدفع ضرره مقدَّم على البدني لما علم من ترتيب الضروريات الخمس."[3]
- "...أَنَّه مبني على العفو على النّجاسة صيانة للمال."[4]
- "وأيضا فإِنَّ حفظ المال من الضروريات الخمس، وليس حفظ العرض."[5]
- "تجنّب المكروه من باب جلب المصالح، وفعل الواجب من ذلك ومن درء المفاسد، وقد علمت أَنَّ درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح."[6]

14. وفي بعض الأحيان يميل إلى رأي أشياخه كما القول في:

- "ونقل شيخنا العلاّمة المحدّث الحافظ سراج الدين أبو حفص بن الملقّن."[7]

---

(1) المازوني، الدرر المكنونة، (1/423).
(2) المصدر نفسه، (1/433).
(3) الونشريسي، المعيار المعرب، (1/32).
(4) المازوني، الدرر المكنونة، (1/329).
(5) الونشريسي، المعيار المعرب، (2/107).
(6) المازوني، الدرر المكنونة، (1/483).
(7) المصدر نفسه، (1/320).

▪ "لأَنَّ ما ذكروه من ذلك إِنَّما هو على سبيل المثال، كذا نص عليه شيوخنا، منهم ابن عرفة رضي الله عنهم."[1]

▪ "وهذا المسلك كان يسلكه شيخنا العلاّمة المحقق وليّ الله تعالى أبو إسحاق إبراهيم المصمودي : ورضي عنه."[2]

▪ "هذا هو الذي أختاره، وبه أفتى علماؤنا التلمسانيون من أصحابنا المعاصرين، وأشياخهم، وأشياخ أشياخهم."[3]

▪ "قطع الصلاة كما حكاه سيدنا وشيخ شيوخنا برّد الله ضريحه وأسكنه من أعلى الجنان بحْبوحه؛ هو الصحيح"[4]؛ يعني به الفقيه الشريف التلمساني.

▪ "هكذا تلقّيناها عن الأشياخ المحقّقين في كتاب ابن الحاجب وغيره."[5]

▪ "وسمعت أو بلغني عن شيخنا ابن عرفة :، وأكبر ظني أنّي سمعت منه؛ أَنَّه قال: كان بعض أشياخي."[6]

▪ "الحمد لله؛ ما أشار إليه الشيخ من النّظر ظاهر؛ لأَنَّ تلك المباشرة لمّا امتنعت حالة الحياة."[7]

---

(1) الونشريسي، المعيار المعرب، (102/2).
(2) المازوني، الدرر المكنونة، (429/1).
(3) الونشريسي، المعيار المعرب، (194/12).
(4) المازوني، الدرر المكنونة، (436/1).
(5) المصدر نفسه، (603/2).
(6) الونشريسي، المعيار المعرب، (209/1).
(7) المازوني، الدرر المكنونة، (678/2).

15. وكان من دأبه أن يحترم أقوال العلماء وعدم تعقّب أقوالهم: كما في قوله:

- "الحمد لله؛ جواب الشيخ صحيح لا ينبغي أن يتعقّب كما درج عليه الأشياخ."[1]
- "ولا اختلاف في جميعكم في المعنى، ومناقشة شيخنا : لفظية"[2].
- "ومن تأمّل سير الأشياخ في فتاويهم من متقدّمي القرويين والأندلسيين ومتأخريهم، بان له صحة ما قلناه"[3].
- "وأمّا ادِّعاء التصحيف في كلام خليل فبعيد؛ والله أعلم"[4].

16. ويعتمد القواعد الفقهية والأصولية، في المسائل التي يكثر فيها أقوال العلماء، يُذكَر منها على سبيل التمثيل:

- "والقاعدة أَنَّ رد المفاسد بالإطلاق أولى من جلب المصالح بالإطلاق"[5].
- " قاعدة الشافعي المعلومة؛ أَنَّ ترك الاستفصال في حكايات الأحوال مع قيام الاحتمال يقوم مقام العموم في المقال"[6].
- " وشاهده من القواعد المذهبية: إلحاق ما تغيّر بما لا ينفك عنه غالبا

---

(1) المازوني، الدرر المكنونة، (419/1).
(2) الونشريسي، المعيار المعرب، (171/4).
(3) المازوني، الدرر المكنونة، (384/1).
(4) المصدر نفسه، (432/1).
(5) الونشريسي، المعيار المعرب، (109/2).
(6) المازوني، الدرر المكنونة، (327/1).

من الماء بالمطلق، ولا تخفى شهادته"[1].

- "أخف الضررين يرتكب عند تعارضهما"[2].
- "وأنَّه لا يترك الأصل الذي هو الطهارة في الأشياء المتيقن، للاحتمال"[3].
- "قاعدة: أَنَّ الدوام كالابتداء"[4].
- "الأصل بقاء ما كان"[5].
- "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[6].
- "ثواب الواجب لا يبلغه ثواب المستحب"[7].

17. كما يعتمد على القواعد المنطقية، خصوصا في الفتاوى الطويلة، منها قوله:

- "...أو بالمنطق الحملي من أي شكل شئت"[8].
- "وإن قررته بالاقتران الشرطي من الضرب الأول"[9].
- "وإن قرّرته بالشرطي المتصل بالبرهان المتقدم"[10].

---

(1) المازوني، الدرر المكنونة، (1/333).
(2) الونشريسي، المعيار المعرب، (8/88).
(3) المازوني، الدرر المكنونة، (1/358).
(4) المصدر نفسه، (1/486).
(5) الونشريسي، المعيار المعرب، (10/320).
(6) المازوني، الدرر المكنونة، (1/486).
(7) المصدر نفسه، (1/515).
(8) الونشريسي، المعيار المعرب، (4/383).
(9) المازوني، الدرر المكنونة، (1/310).
(10) المصدر نفسه، (1/311).

- "وهذا شبيه بقياس المساواة المنطقي والهندسي"[1].
- "وإن قرّرته بالاستثنائي المنفصل"[2].
- "هذا الكلام كلّه على سبيل ما يمكن أن يبحث فيه، وإرخاء الرسن على طريق التسليم الجدلي، وهو يشبه الخِطَابي"[3].

18. ومن منهجه ومنهج سابقيه من العلماء العاملين أنهم يختمون كلامهم أو أجوبتهم أو توجيهاتهم بالتماس التوفيق من الله عز وجل، وإرجاء العلم الحق إليه، وقبول الأعمال، منها قوله:

- " أَنَّ في لزوم الطلاق بغير لفظه خلافا كما أشرنا إليه والله أعلم"[4].
- "...إلا أَنَّ مسكنه البحر؛ والله تعالى أعلم"[5].
- " إن كان ما أصابه من المرض والله أعلم"[6].
- "...كما يُتَوَقَّى تناول النجس؛ والله تعالى أعلم"[7].
- "هو وجه الجمع بين المسألتين في المدونة والله أعلم"[8].
- "والله تعالى أعلم، وهو المسؤول سبحانه أن يعصمنا من الزيْغ والزّلل في القول والعمل، وأن يختم لنا بما ختم به لأوليائه، وأن حشرنا في زُمرة المتّبعين

---

(1) الونشريسي، المعيار المعرب، (528/4).
(2) المازوني، الدرر المكنونة، (312/1).
(3) المصدر السابق، (461/1).
(4) الونشريسي، المعيار المعرب، (60/2).
(5) المازوني، الدرر المكنونة، (261/1).
(6) الونشريسي، المعيار المعرب، (19/2).
(7) المازوني، الدرر المكنونة، (370/1).
(8) الونشريسي، المعيار المعرب، (59/2).

لسُنّة نبيّنا وسيّدنا محمد ﷺ وزُمرة اصحابه وأصفيائه بمنّه وفضله"[1].

- "والله الموفق بفضله، وهو سبحانه وتعالى أعلم، وكتب محمد بن أحمد بن مرزوق غفر الله له ولطف به بمنّه"[2].

الفرع الثاني: أسلوبه في فتاويه

إنَّ المتأمّل في فتاوى الإمام محمد بن مرزوق الحفيد يجدها أجوبة تتناول التعريف بالأحكام الشرعية التي طرأت في واقع النّاس، وهي في الأصل عبارة عن أسئلة وُجِّهت إليه من طرف المستفتين، والكشف عن حياة الناس السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكذا الدينية؛ كلّ هذا يستشف من أسئلة الناس، كما يمكن استنتاج الملامح العامة لشخصية المفتي غالبا من خلال إجابته عن الفتوى، بإيراد ألفاظ وعبارات خاصة يوظفها في ثنايا كلامه، ويُتعرّف على ثقافة المفتي وعلمه، ومدى قدرته على الاجتهاد، سواء بإفهام المستفتي وإعطائه الجواب على أكمل وجه، أو إيراد الحجج والبراهين وتنزيلها في محلها المناسب على الواقعة المراد الإجابة عنها، وهذا كلّه يتوفر عند غيره من الأئمة الأعلام الآخرين.

أمّا التكلم عن الأسلوب الذي كان ينتهجه الإمام محمد بن مرزوق الحفيد، فكلّ مفت وله خصوصياته، وكذلك مدارك العقول تختلف من مفت لآخر، فلابد من أَنَّ للإمام ابن مرزوق الحفيد أسلوبه الخاص به، يُعرَف من خلال فتاويه المطروحة في المصادر.

---

(1) المازوني، الدرر المكنونة، (1/393).

(2) الونشريسي، المعيار المعرب، (3/87).

فمن نظر وتمعّن في فتاويه يجد نصها يختلف بين الطول[1] والتوسط[2] والقصر[3]، نظرا لاختلاف السائل، وحين الإجابة نجده ينتهج أسلوب الاختصار؛ كقوله: "والطهارة في الرأس أقوى لوجوه يطول ذكرها"[4]، فيُستمدُّ من تلك الأجوبة التي اتخذت صبغة الاختصار التي يصعب بها عرض الأقوال، بحيث تكون مشافهة وآنية، المقصود منها الوقوف على حكم ذلك الشيء إمّا بالإباحة أو التحريم أو غير ذلك من الأحكام التكليفية الأخرى دون التفصيل؛ لأَنَّ هاته المسألة متكرّرة الوقوع، وتلزم الناس دائما؛ لأَنَّ بها جانب المعيشة، وكذلك كون الفقيه بقربه وهو طوعه في كلّ حين، كما ورد في سؤال الثور الذي أصابه المرض فصار يرمي مصارينه، فأجاب: "تنفع الذكاة في الثور إن كان ما أصابه من المرض."[5]

وأمّا الأجوبة الطويلة التي جاء فيها التفصيل الدقيق، بحيث أطال فيها الإمام ابن مرزوق الحفيد النَّفَس كثيرا، بإيراد الأدلة والحجج والبراهين، وكثيرا ما يحتج بالقياس وأنواعه لتأكيد الإجابة، وقد يستعمل القواعد الأصولية والفقهية لإبطال القول المخالف، بل تعدَّى استدلاله إلى القواعد

---

(1) مثال ذلك: فتوى "تقرير الدليل الواضح المعلوم، على جواز النسخ في كاغد الروم"، حيث تجاوزت أكثر من 30 صفحة؛ وكذلك فتوى "الروض البهيج في مسائل الخليج"، تجاوزت أكثر من 15 صفحة، لذا يمكن القول أنهما كُتَيِّبين.

(2) مثال ذلك: فتوى "سلخ جلد الإنسان"، تجاوزت 4 صفحات. (المازوني، الدرر المكنونة، 254/1).

(3) مثال ذلك: فتوى "انتقاد الونشريسي نبش القبور بتلمسان". لم تتجاوز سطرين. (الونشريسي، المعيار المعرب، 329/1).

(4) مثال ذلك: فتوى "شواء الرأس قبل غسله". (الونشريسي، المعيار المعرب، 11/1).

(5) المازوني، الدرر المكنونة، (777/2).

المنطقية، خصوصا في المسائل التي لم يرد فيها دليل شرعي يرتَكَز عليه، ناهيك عن التخريجات الفقهية لدعم قوله؛ هذا كلّه كان في الأجوبة المكتوبة التي وصلت حدّ الكُتَيِّبات يكتبها بخط يديه يساعده ذلك على التبسيط والشرح في المسألة كما في مسألة "تقرير الدليل الواضح المعلوم، على جواز النسخ في كاغد الروم."[1]

فغالب أجوبة الإمام ابن مرزوق الحفيد سلك فيها مسلك التوضيح والبيان بالشرح والحوار، الأمر الذي ساعده في ذلك علمه الغزير، وتواصله مع الناس سواء بالتدريس في المساجد أو تدريس الطلاب، أو حتى الفتاوى التي ترده حيث كان متصدّرا لها، والأكثر من ذلك معرفة أحوال الناس، كما في مسألة "الجزار يبيع اللحم في البادية جزافا"[2].

إضافة إلى ذلك قوة شخصيته التي تجلت في قوة الإقناع، وسرعة البداهة، وحضور النباهة في انتقاء الأمثلة اليسيرة للفهم، دون تأويل خاص يصعب في فهم الخطاب المطروح.

ويدلّ على ذلك براعة الاستهلال في فتاويه وخواتمها أَنَّها صيغت في قالب رسائل موجهة إلى المستفتين، فهي في الغالب مستفتحة بحمد الله والصلاة على النبي ﷺ، ومذيّلة بالدعاء والسَّلام، وهذا دأب علمائنا رحمهم الله تعالى ورضي عنهم.

وكان رحمه الله تعالى يشددّ على المحافظة على السُنَنِ، وعدم ترك المبتدعين يعيثون في الأرض فسادا، وجاء في إحدى أجوبته لفتوى وردت إليه كان

---

(1) الونشريسي، المعيار المعرب، (75/1).

(2) المصدر نفسه، (96/5).

فحواها ترك السنن لمشاركة المبتدعين فيها، فأجاب: "لا يجوز ترك السُنن لمشاركة المبتدعين فيها، إذ لا يترك الحق لأجل الباطل، وما زال العلماء والصالحون يقيمون السنن مع العلم بمشاركة المبتدعين"[1].

وكان رحمه الله تعالى عندما يستدل بالكتب فإِنَّه يشير إلى أي موضع نقل منه، كما فعل ذلك في قوله: "على ما أشار إليه البيضاوي في البحث الرابع من الفصل الخامس في الوحدة والكثرة من كتاب الطوالع، وصرّح به في البحث الخامس من أبحاث الكيفيات النفسانية"[2]، فتوثيقه للمعلومات التي يأخذها، ويردّها إلى مصادرها المنقولة منها، ونسبة الأقوال إلى أصحابها لدلالة على النقل العلمي السليم، كقوله: "وقال ابن رشد في النكاح من البيان: وقيل كحكمه فيما يراه منها"[3]، وإشارة على أَنَّ العلم الذي أخذه يكتسي أهمية بالغة من الناحية المنهجية.

وتبرز فيه ميزة التوثيق للفتاوى الطويلة التي يبذل فيها جهدا كبيرا، خصوصا وأَنَّ ورود هذه الفتاوى الطويلة تكون نتيجة مراسلات العلماء له في استشكالات طرأت عليهم صعب حلّها، كما في فتوى جواز النسخ في كاغد الروم: "وكان الفراغ منه في اليوم التاسع من ربيع الثاني عام اثني عشر وثمانمائة، عرّفنا الله خيرها، وكفانا شّرها"[4].

ويُلتمس منه رحمه الله تعالى تواضعه في طرح المسائل، واجتهاده في

(1) المصدر السابق، (355/12).
(2) المازوني، الدرر المكنونة، (420/1).
(3) الونشريسي، المعيار المعرب، (307/1).
(4) المازوني، الدرر المكنونة، (393/1).

استنباط الأحكام الشرعية للمسائل التي لم يرد فيها دليل واضح سواء من القرآن الكريم أو السُنَّة النبوية المطهّرة، وحتى من أقوال أئمة المذهب وغيرهم، حيث قال في مسألة من المسائل المطروحة عليه: "هذه المسألة لم أجد فيها نصا بعد البحث بقدر طاقتي، وما تقتضيه قلّة بضاعتي، وغاية ما لاح لي فيها من مقتضى نصوص المالكية أَنَّه إن لم يكن متفقا على طهارته عندهم، فلا أقل من أن يكون مختلف فيه"[1].

كلّ هذا يُبَيّن أَنَّ الإمام ابن مرزوق الحفيد لم يكن ناقلا للفتوى دائما، بل يجتهد في المسائل التي لم يرد بشأنها نص شرعي، بحيث كان مُلمًّا بأغلب وجوه وأبواب الفقه.

وممّا يزيد المرء رِفْعة تواضعه وَوَرَعُه، وتقوى الله جلا وعلا في قوله وعمله، فالإمام كغيره من العلماء العاملين الربانيّين يكثر من ذكر الله تعالى عقب كلّ فتوى يصدرها؛ لأَنَّه يعلم مقدار الأمانة التي حمّلوه إيّاها.

وختاما يمكن القول أَنَّ منهج الإمام ابن مرزوق الحفيد وأسوبه في الإفتاء، حُبِّب إلى كثير من العامّة، ناهيك عن أقرانه من العلماء الذين كانت بينهم مراسلات.

(1) الونشريسي، المعيار المعرب، (75/1).

المطلب الرابع
مكانة فتاوى الإمام ابن مرزوق الحفيد العلمية ومستفتيه

الفرع الأول: مكانة فتاويه العلمية

لقد احتلّ ابن مرزوق الحفيد مكانة عظيمة في نفوس معاصريه من العلماء القضاة، وعامة الناس، واعترف الجميع بسعة علمه وفضله، فكان يلجأ إليه في النوازل، وحلّ ما أشكل على طلبة العلم وغيرهم، وكانت ترد عليه رسائل مكتوبة وشفوية، وكان رحمه الله تعالى يتولى الإجابة عليها. وتميزت فتاواه بالبسط والتفصيل وطول النفس في تحرير المسائل، مؤيدا ما يذهب إليه من آراء بالأدلة من القرآن ونصوص السنة النبوية الشريفة مع إيراد نصوص ونُقُول علماء المذهب المالكي المتقدّمين ومناقشتها بأسلوب علمي يدلّ على تحكمه في علم أصول الفقه، وقد كان من بين الأئمة الذين يفزع إليهم في الفتوى، ولكن هل كان يعتبر مفتيا رسميا للدولة، أم استحق التصدّر بوُفور علمه، واعتراف أهل زمانه؟ ومهما يكن الجواب، فإنه كان من أهل الفتوى الذين يفزع إليهم لحل المشكلات والنظر في النوازل[1].

كما عبّر بذلك الونشريسي بقوله: "شيخا الفتوى بتلمسان سيدي أبو عبد الله محمد بن مرزوق وسيدي أبو الفضل قاسم العقباني رحمهما الله ورضي عنهما"[2].

وصرّح المازوني في مقدّمة نوازله بمصادر فتاويه فقال: "واقتصرت في

---

(1) ابن مرزوق الحفيد، المنزع النبيل، (117/1).

(2) الونشريسي، المعيار المعرب، (402/2).

جميع ذلك على أجوبة المتأخرين من علما تونس وبجاية والجزائر وأشياخنا التلمسانيين؛ كشيخي ومفيدي شيخ الإسلام، علم الأعلام، العارف بالقواعد والمباني، سيدي أبو الفضل قاسم العقباني، وشيخي الإمام الحافظ بقيّة النُّظَّار والمجتهدين؛ ذي التواليف العجيبة، والفوائد الغريبة، مستوفي المطالب والتحقيق؛ سيدي أبي عبد الله محمد بن مرزوق...."[1]

يقول صاحب كتاب نفح الطيب: "... وأمّا أجوبته وفتاويه على المسائل المنوعة فقد سارت بها الركبان شرقا وغربا، بدوًا وحضرًا، وقد نقل المازوني والونشريسي منها جملة وافرة"[2].

كلّ هذا يمكن القول أَنَّه يناقش الجانب الفقهي المحض، لكن لا يمكن أن تُغفَل الجوانب الأخرى السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية، فغالب الفتاوى محورها النطاق المعيشي، وما يحدث للنّاس من وقائع، فهي تصور الحياة من جوانب شتَّى، فالإمام ابن مرزوق عاش في فترة مضطربة سياسيا تلك التي عاشتها المملكة الزيَّانيَّة التي كانت عاصمتها تلمسان، التي تعتبر مولده ومدينته التي ترعرع وعاش بين أحضانها، ومن ثَمَّ فإِنَّ الفتاوى لما لها أهمية من الجانب الفقهي، فإِنَّها تعدُّ وثيقة تاريخية مفيدة، لزاما على المؤرخين الانكباب عليها؛ لقلّة ورود الغلط فيها؛ ولأَنَّها ليست مقصودة بذاتها، بل هي تبع للمسألة المراد طرحها.

(1) المازوني، الدرر المكنونة، (1/164).

(2) أحمد المقري، نفح الطيب، (5/430).

فليس من السهل أن ينتصب امرؤ للإفتاء، أو أن يتوافد عليه الناس طلبا للفتوى عند استشكال أمر من أمور دينهم ودنياهم، وليس من اليسير أن تطير الرسائل إليه من المغرب وتونس وفاس، طلبا للجواب فيها فيما اختلف فيه أمثاله من الفقهاء، إلا إذا كان الرجل حقا عالما مفتيا[1].

الفرع الثاني: مكانة مستفتيه

إِنَّ من نظر في الأسئلة الواردة وجواباتها، لَيُدِرك تمام الإدراك أَنَّ المستفتين كانوا من تلمسان العاصمة، ومدن المغرب الأوسط كمازونة، أمّا خارجها فكانت الرسائل تأتي من حاضرة فاس بالمغرب الأقصى غربا، ومن قفصة وغيرها من مدن تونس شرقا، كما جاءت الأسئلة من حاضرة غرناطة[2] بالأندلس.

كما كان مستفتوه من العامّة الذي يبتغي منه معرفة الحكم الشرعي بالأمر والانصياع، أو النهي والكف عن فعل الحرام، دون مراجعة في ذلك[3].

وكان بعض مستفتيه من العلماء من يراجعه ويحاوره، للتثبت والبرهان والتحري[4].

---

(1) محمد البركة، فقه النوازل على المذهب المالكي؛ فتاوى أبي عمران الفاسي، ص64.

(2) جاءه سؤال بخصوص فتوى " ماذا ينوي المتيمم عند تكرار التيمم". من قِبل قَاضي الجماعة بحضرة غرناطة الفقيه أبي العباس أحمد بن أبي يحي أبي عبد الله الشريف التلمساني. (الونشريسي، المعيار المعرب، 59/1).

(3) مثال ذلك: فتوى "إمامة من لا يحجب امرأته عن النّاس". (المازوني، الدرر المكنونة، 585/2).

(4) مثال ذلك: فتوى "الصلاة بالتيمم لمن ينتقض وضوؤه عند مس الماء"؛ راجعه فيها وتحرى: عالم قفصة بتونس الفقيه القاضي أبي يحي بن عقيبة. (الونشريسي، المعيار المعرب، 32/1).

وكان بعضهم يطالب بمصدر النصوص والأقوال، والنظر فيها[1].

وكان بعض مستفتيه من العلماء وأهل الصلاح والإصلاح يريد بركة لفتواه، وتعضيدا لما ذهب إليه، مؤيَّدًا بقول الإمام ابن مرزوق الحفيد، مقوِّيا لفتواه دون مراجعة الإمام فيما يذهب إليه[2].

ومنهم من كان يعترف له بالفضل، ويعبر له عن الإعجاب، ويُكِّن له احتراما شديدا[3].

فالأمر الجامع بين أصناف هؤلاء المستفتين هو ما يشغلهم من الأمور التي يتطلعون إلى معرفة أحكامها الشرعية، وبعضها ممّا نجم في حياتهم اليومية المضطربة، فلذا النّاس يهرعون إلى المفتي، وكلّهم رغبة في سماع الجواب، لِثِقَتِهِم بالمفتي ثقة لا تستلزم عندهم التوضيح لقناعتهم بعلم المفتي.

(1) مثال ذلك: فتوى "هل ينوب غسل الجمعة عن الوضوء"؛ ناقشه هذا المستفتي في الاستدلال بالحديث، وسلامة صحته، وكذلك مدى استنباط الحكم الشرعي منه. (المازوني، الدرر المكنونة، 504/1).

(2) مثال ذلك: فتوى "ماذا ينوي المتيمم عند تكرار التيمم". (الونشريسي، المعيار المعرب، 56/1).

(3) مثال ذلك: فتوى "لا يجب على الرجل اختبار زوجته في عقيدتها". (الونشريسي، المعيار المعرب، 86/3).

الخاتمة

وقبل طيِّ هذه الوُرَيْقات يمكن تلخيص أهمّ النتائج المتحصَّل عليها؛ وفيما يلي بيان ذلك:

✓ أدى اختلاط البربر بالقبائل الوافدة عليهم سواء العربية والأندلسية ومسيحي أوربا وغيرهم، فسيفساء حقيقية انبنى عليها المجتمع التلمساني بعد ذلك.

✓ نتيجة الاضطراب السياسي من جهة، ورغد العيش من جهة أخرى، أدّى ببعض النّاس إلى البحث عن أسباب السكينة والتفرّغ للعبادة، بحيث كان أكثرهم من الصوفية التي انتشرت بعد ذلك في ربوع المغرب الإسلامي، بل ووصلت إلى انتساب بعض الملوك إليها.

✓ من المفارقات العجيبة التي عاشتها الدولة الزيَّانيَّة الجو السياسي المشحون، لكن لم يمنع ذلك من انتشار العلم وظهور العلماء، بل إنَّ ظهور تلمسان كحاضرة علمية كان في عهد هذه الدولة التي دعّمت العلم من خلال بناء المساجد والمدارس، واستقطاب العلماء.

✓ يُعَدّ ابن مرزوق الحفيد من نُجباء العلماء الجزائريين، والذين تتشرّف الجزائر بانتسابهم إليها؛ كونه تشبّع بعلوم عصره، وتضلّعه فيها، حتى أدرك مرتبة الاجتهاد.

✓ تخرّج على يدي ابن مرزوق الحفيد كثير من العلماء الذين أناروا ربوع الوطن بعلمهم، وذاع صيتهم في العالم الإسلامي.

✓ إثراء ابن مرزوق الحفيد المكتبةَ الإسلاميةَ بعدَّة كتب في علوم كثيرة

أبرزها الفقه والحديث.

✓ رغم ما كان لابن مرزوق الحفيد من مكانة علمية في أوساط العلماء المعاصرين له، والذين جاءوا بعده، إلا أَنَّه لم يكن له نصيب من الاهتمام بسيرته على غرار العلماء الذين عاصروه.

✓ عدم تحقيق تراثه العلمي الوفير بما يتلاءم مع مكانته، فهو كما التنبكتي: "يا له من عالم وإمام جمع العلوم بأسرها، ولكن بخسته الدار."[1]

✓ الذين ترجموا لابن مرزوق الحفيد من معاصريه ومن تلاميذته وأقرانه لم يفَصِّلُوا في نشأته الأولى.

✓ الناظر في شخصية ابن مرزوق الحفيد يجد الأخلاق الفاضلة التي عزّ وجودها في زماننا هذا، والتي منها الاخلاص لله تعالى، والاجتهاد في طلب العلم والتواضع، فالدارس لحياته يتنبّه إلى تواضعه حتىّ بعد أن علا كعبه في العلم، واعتراف أهل المشرق والمغرب محدثوهم وفقهاؤهم حين وفد عليه الفقيه الوريأجلي لطلب العلم قال له الإمام تواضعا منه: "...مثلك والله لا يأخذ عن مثلي...." إلى أن قال: "...تأخذ عني وآخذ عنك...."[2]

✓ يُستنتَجُ أَنَّ فتاوى الإمام ابن مرزوق الحفيد اختلفت بين الطويلة والقصيرة والمتوسطة، كلّ هذا راجع لشخصية المستفتي، وكذلك نوع المسألة المراد الإجابة عنها.

✓ المُطّلع على فتاوى الإمام ابن مرزوق الحفيد يجد مصادرها متنوعة

---

(1) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص501.

(2) الشفشاوني، دوحة الناشر، ص30.

ابتداء بالمدونة، مرورا بالمدارس الفقية المالكية المختلفة، وانتهاءً بمؤلفات شيوخه وما تلقاه عنهم مشافهة.

✓ حفظه لكثير من النصوص وآراء الفقهاء المتقدّمين، وكذلك المتأخرين، لاسيما الذين ضاعت كتبهم، أو التي هي في حكم الضياع، ممَّا هو حبيس الرفوف في المتاحف والمكتبات.

✓ لم يختص الإمام ابن مرزوق في جانب فقهي، بل تعدّاه إلى جوانب أخرى كالإفتاء في الجانب العقدي، بحيث نجد موضوعات فتاويه متنوعة.

✓ أمّا عن منهجه في الإفتاء فهو كغيره من المفتين، ويُلتمس فيه الجانب المقاصدي كثيرا.

✓ من خلال هذه الفتاوى وغيرها يُستشف منها أَنَّ شريعتنا الإسلامية كانت ولا زالت صالحة لكل زمان ومكان، ومن حيث خاصية المرونة التي تمتاز بها، بحيث تستوعب جميع المتغيرات الطارئة على واقع النّاس، وكذلك خاصية الشمول، بحيث تعمّ جميع العصور، والمناطق، والأجناس؛ أبيضهم، وأسودهم، وأصفرهم...إلخ

✓ ثمّ إِنَّ الفتاوى والنوازل خاصة جانب المعاملات منها، نجد تأثير المقاصد الشرعية فيها ظاهر، وإيجاد الحلول ورفع الحرج بارز.

التوصيات:

بعد عرض أهم النتائج المتحصَّل عليها، كان من المهمِّ ذكر توصيات لوحظت أثناء إنجاز هذه الوريقات، وممَّا أمكن التوصُّل إليه ما يلي:

✓ إنشاء مجلس وطني للفتوى، يتكون أعضاؤه من أهل الاختصاص في

الفقه، وكذلك أصحاب الخبرات من باقي التخصصات الأخرى كالطب والاقتصاد وغيرهما.

✓ إنجاز رسائل أكاديمية تُعنى بفقهاء الجزائر، وإبراز جهودهم العلمية، وتحقيق تراثهم العلمي.

✓ تحقيق تراث الإمام ابن مرزوق الحفيد الفقهي وغيره.

✓ عقد ملتقيات تُعنى بهاته الشخصية الفريدة، التي تعتبر من أوائل شرّاح مختصر خليل، فإن عفى عنها المتقدّمون بالذكر، فلا يغفل عنها المتأخرون كذلك.

✓ إعادة تحقيق كتاب المعيار المعرب للونشريسي؛ لأَنَّه يعتبر من أهم مصادر النوازل الفقهية في الغرب الإسلامي.

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد.

الملاحق

منظر عام لتلمسان[1]:

(1) محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان، (3/1).

ضريح الإمام ابن مرزوق الحفيد[1]:

13 - الجامع الكبير منظر خارجي

14 - ضريح شيخ الإسلام ابن مرزوق الحفيد بالزاوية الجنوبية الغربية من الجامع الكبير

ضريح الإمام ابن مرزوق الحفيد وبابه[2]:

(1) محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان، (1/57).

(2) محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان، (1/173).

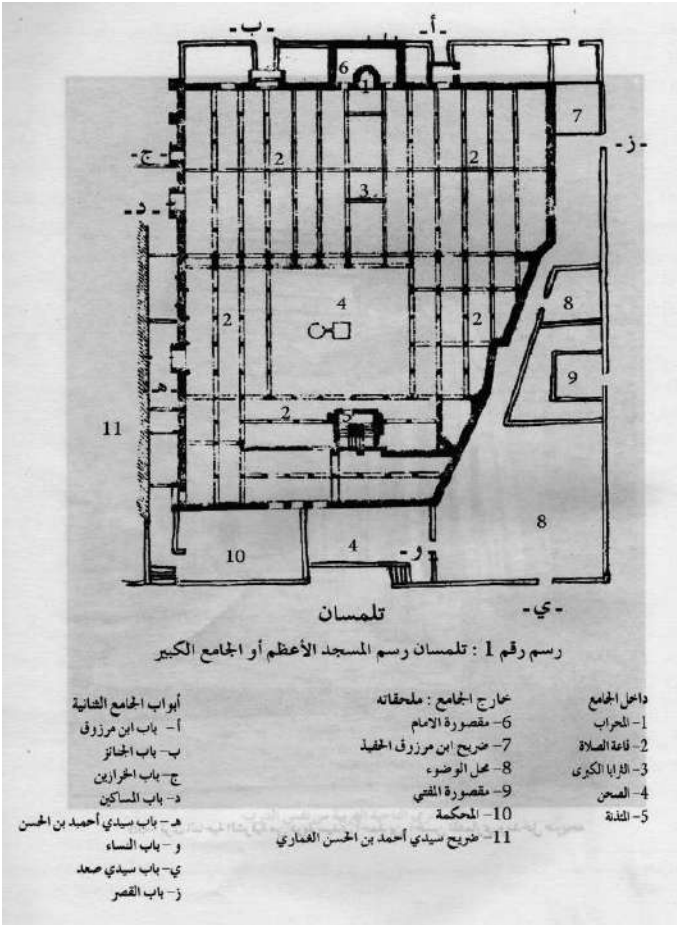

رسم رقم 1 : تلمسان رسم المسجد الأعظم أو الجامع الكبير

داخل الجامع
1- المحراب
2- قاعة الصلاة
3- الثريا الكبرى
4- الصحن
5- المئذنة

خارج الجامع : ملحقاته
6- مقصورة الامام
7- ضريح ابن مرزوق الحفيد
8- محل الوضوء
9- مقصورة المفتي
10- المحكمة
11- ضريح سيدي أحمد بن الحسن الغماري

أبواب الجامع الثمانية
أ- باب ابن مرزوق
ب- باب الجنائز
ج- باب الخرازين
د- باب المساكين
هـ- باب سيدي أحمد بن الحسن
و- باب النساء
ي- باب سيدي صعد
ز- باب القصر

الجامع الكبير من الداخل[1]:

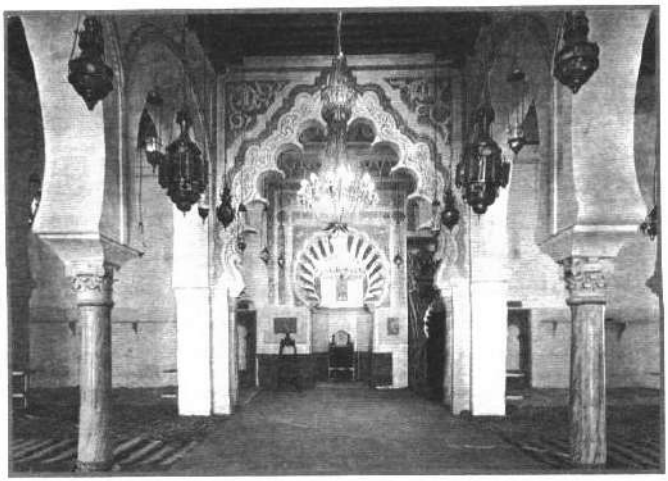

(1) محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان، (1/178).

مئذنة الجامع الكبير[1]:

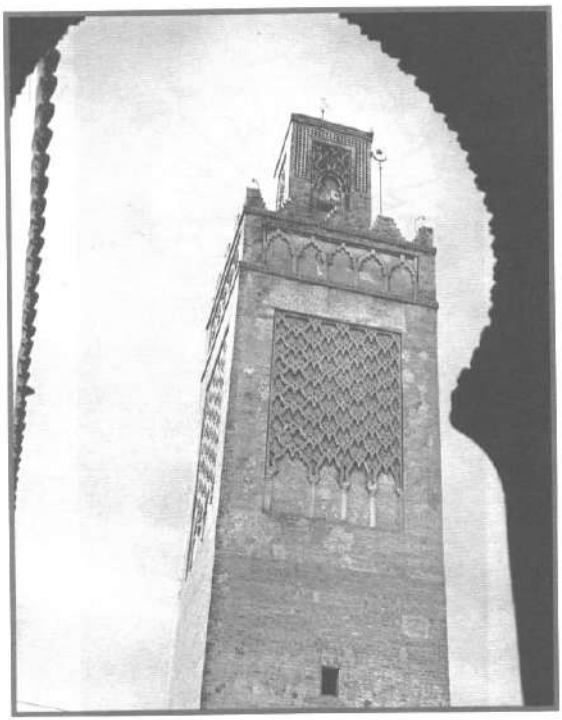

(1) محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان، (186/1).

عائلة ابن مرزوق الحفيد[1]:

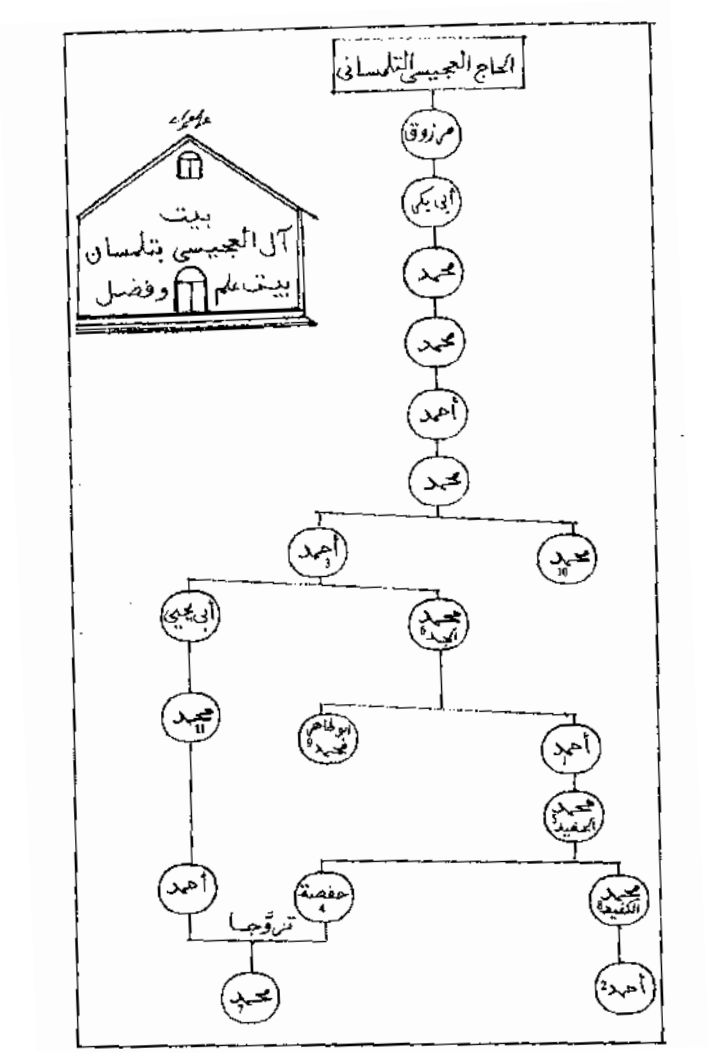

(1) البلوي، ثَبَت البلوي، ص221.

خريطة الجزائر وأهم مراكز القبائل خلال القرن الثامن[1]:

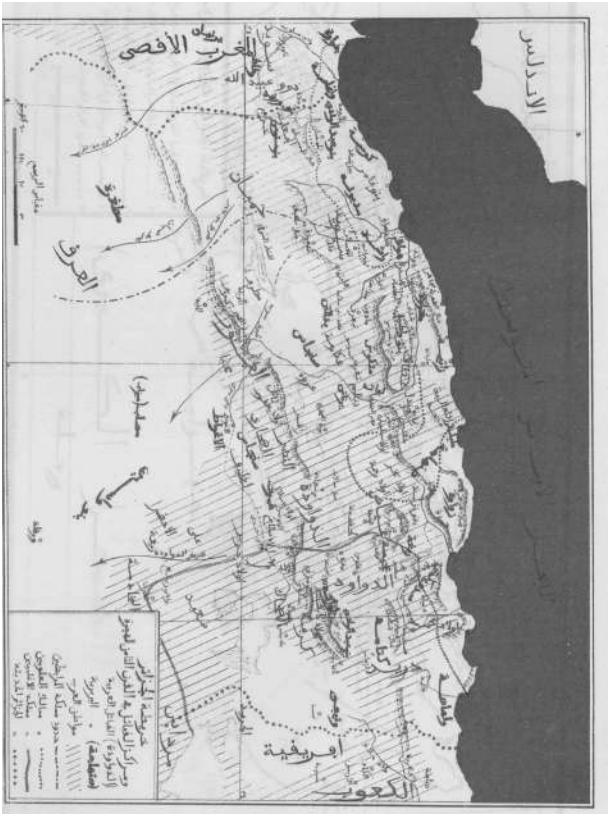

(1) الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، (2/523).

مخطط تلمسان في القرن التاسع[1]:

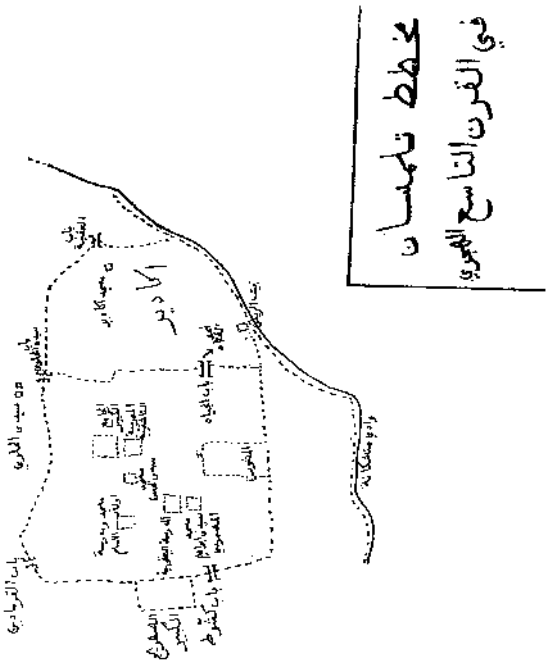

(1) التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص292.

خريطة تبين حدود الدولة الزيَّانيَّة[1]:

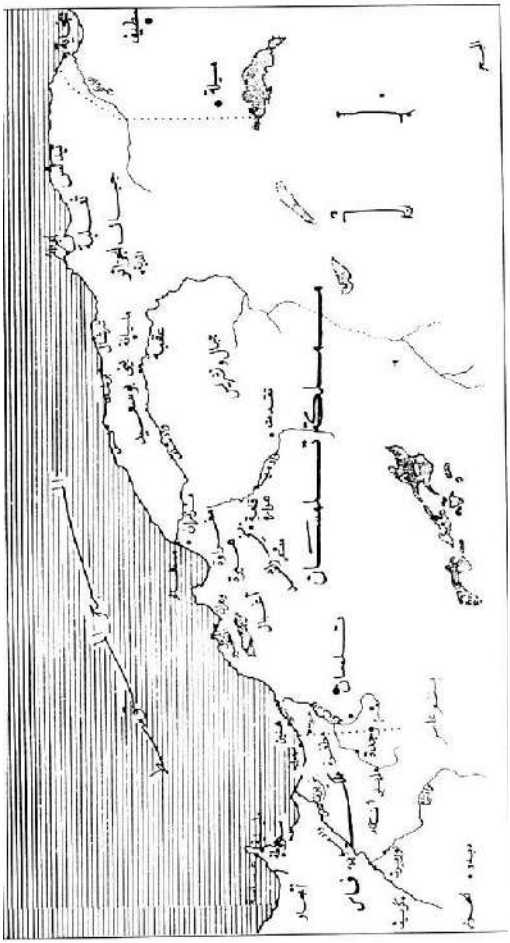

(1) ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، (6/2).

بعض ملوك دولة بني زيان التي أقامت بتلمسان[1]:

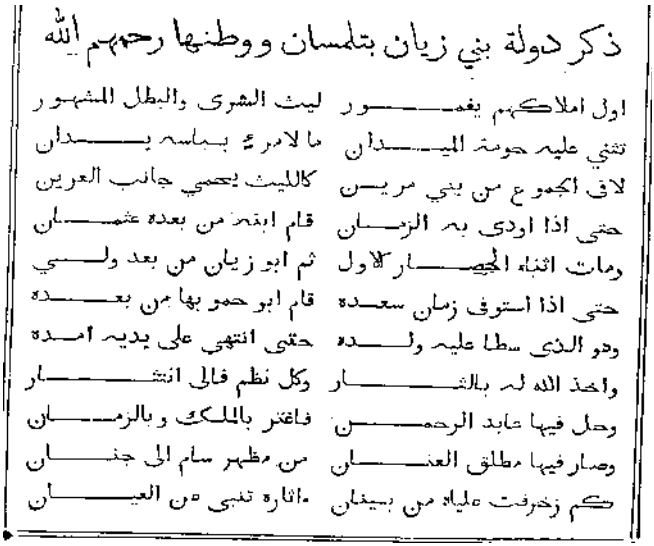

ذكر دولة بني زيان بتلمسان ووطنها رحمهم الله

اول املاكهم يغمـــــور ليث الشرى والبطل المشهور
تثني عليه حومة الميـــدان ما لامرئ بباسه يـــدان
لاقى الجموع من بني مريـــن كالليث يحمي جانب العرين
حتى اذا اودى به الزمـــان قام ابنه من بعده عثمـــان
ومات ابناه الحصـــار الاول ثم ابو زيان من بعد ولـــي
حتى اذا استوفى زمان سعـده قام ابو حمو بها من بعـــده
وهو الذي سطا عليه ولـــده حتى انتهى على يديه امـده
واخذ الله له بالثـــار وكل نظم فالى انتشـــار
وحل فيها عابد الرحمـــن فاغتر بالملك وبالزمـــان
وصار فيها مطلق العنـــان من مظهر سام الى جنـــان
كم زخرفت عليه من بنيان اثاره تنبي عن العيـــان

(1) السلماني، رقم الحلل في نظم الدول، ص70.

الفهارس العامة

وفيها الفهارس الآتية:

- **فهرس الأعلام المترجم لهم.**
- **فهرس المصادر والمراجع.**
- **فهرس الموضوعات.**

****

فهرس الأعلام المترجم لهم

الاسم	رقم الصفحة
إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله السبتي	105
أبو القاسم سعد الله	45
أبو القاسم بن محمد مرزوق بن عظوم القيرواني	110
أحمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى الشهير بزروق	113
أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر البغدادي المعروف بالقدوري	81
أحمد بن محمد بن عثمان المعروف بابن البنا العددي	104
الحاج محمد بن رمضان شاوش	62
خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المعروف بالجندي	111
شعيب بن حسين الأندلسي أبو مدين	74
عائشة بنت أحمد بن الحسن المديوني	72
عبد الرحمن الجيلالي	55
عبد الرحمن بن صخر الدوسي أبو هريرة	109
عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس المعروف بابن الحاجب	83
علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني	110

عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقي	111
عمران بن موسى المشذالي	49
فَارس بن عَليّ؛ أبو عنان	16
القاسم بن فيرّة بن خلف بن أحمد الشاطبي	103
مالك بن أنس الأصبحي	101
مبارك بن محمد الميلي	33
محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الحسني الكتاني	114
محمد بن إسماعيل البخاري	106
محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني	104
محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السَّخاوي	114
محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك	104
محمد بن عمر بن محمد الحجري	30
محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر التلمساني الشهير بالمقرّي	109
محمد بن محمد بن سراج	97
محمد بن محمد بن عبد النور التونسي	108
محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي	111
محمد بن نَامَاور بن عبد الملك المشهور بالخونجي	104
يغمراسن بن زيان	15
يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري	78

فهرس المصادر والمراجع

1.ابن أبي زرع: علي بن عبد الله ت741 هـ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. لا.ط؛ الرباط: منشورا دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972م.

2.ابن الأحمر: أبو الوليد اسماعيل ت807 هـ، روضة النسرين في دولة بني مرين. لا.ط؛ الرباط: المطبعة الملكية، 1382 هـ/1962م.

3.ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيَّانيَّة بتلمسان، تقديم وتحقيق وتعليق: هاني سلامة. ط:1؛ بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية، 1421 هـ/2011م.

4.ابن الجزري: محمد بن محمد بن الجزري ت833 هـ، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: ج برجستراسر. ط:1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1427 هـ/2006م.

5.ابن الخطيب: لسان الدين ت776 هـ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان. ط:1؛ القاهرة: مكتبة الخانجي، 1395 هـ/1975م.

6.ابن الدين، الحاج، رحلة الأغواطي، ترجمة وتحقيق: أبو القاسم سعد الله. طبعة خاصة؛ الجزائر: المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، 2011م.

7.ابن العماد: عبد الحي بن أحمد بن محمد ت1089 هـ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمد الأرناؤوط. ط:1، بيروت: دار ابن كثير، 1413 هـ/1993م.

8.ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب ت751 هـ، إعلام الموقّعين عن رب العالمين، تعليق: مشهور بن حسن آل سلمان. ط:1؛ السعودية: دار ابن الجوزي، 1423 هـ.

9.ابن تغري بردي: يوسف الأتابكي ت874ه ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق: محمد حسن شمس الدين. ط:1؛ لبنان: دار الكتب العلمية، 1413 هـ/1992م.

10. ابن تغري بردي: يوسف الأتابكي ت874 هـ، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين وعبد الفتاح عاشور. لا.ط؛ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م.

11. ابن حزم: علي بن أحمد ت456 هـ، جمهرة أنساب العرب،تحقيق وتعليق: عبد

السلام محمد هارون. ط:5؛ القاهرة: دائرة المعارف، د.ت.

12. **ابن خلدون:** عبد الرحمن بن محمد ت808 هـ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن والحواشي: خليل شحادة؛ ومراجعة سهيل زكار. لا.ط؛ بيروت: دار الفكر، 1421 هـ/2000م.

13. **ابن خلدون:** عبد الرحمن بن محمد ت808 هـ، رحلة ابن خلدون، تعليق: محمد بن تاويت الطنجي. ط:1؛ بيروت، دار الكتب العلمية، 1425 هـ/2004م.

14. **ابن خلدون:** يحي بن أبي بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ت788 هـ، بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد. لا.ط؛ الجزائر: مطبعة بيير فونطانا، 1321 هـ/1903م.

15. **ابن خلكان:** أحمد بن محمد بن أبي بكر ت681 هـ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. لا.ط؛ بيروت: دار صادر، د.ت.

16. **ابن زكري:** أحمد، غاية المرام في شرح مقدّمة الإمام ت900 هـ، دراسة وتحقيق: محند أوإدير مشْنَان. ط:1؛ الجزائر: دار التراث ناشرون؛ وبيروت: دار ابن حزم، 1426 هـ/2007م.

17. **ابن سودة:** عبد السلام بن عبد القادر، دليل مؤرّخ المغرب الأقصى. ط: 1؛ لبنان: دار الفكر، 1418 هـ/1997م.

18. **ابن سودة:** عبد السلام بن عبد القادر، دليل مؤرّخ المغرب الأقصى. ط:1؛ لبنان: دار الفكر، 1418 هـ/1997م.

19. **ابن عبد الهادي:** محمد بن أحمد الدمشقي ت744 هـ، طبقات علماء الحديث، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزَّيبَق. ط:2؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، 1417 هـ/1996م.

20. **ابن عمار:** أحمد، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب. لا.ط؛ الجزائر: مطبعة فونتانة، 1320 هـ/1903م.

21. **ابن غازي:** محمد بن أحمد، فهرس ابن غازي، تحقيق: محمد الزاهي. ط:1؛ تونس: دار بوسلامة للطباعة، 1984م.

22. **ابن فرحون:** ت799 هـ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق: محمد

الأحمدي أبو النور. لا.ط؛ القاهرة: دار التراث، د.ت.

23. **ابن قاضي شهبة:** أبو بكر بن محمد ت851 هـ، طبقات الشافعية، تصحيح: عبد العليم خان. ط:1؛ حيدر آباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1399 هـ/1979م.

24. **ابن قربة**: صالح وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر. لا.ط؛ الجزائر: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، 2007م.

25. **ابن مخلوف:** محمد بن محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية. ط:1؛ القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، 1349 هـ.

26. **ابن مريم:** محمد بن محمد بن أحمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، اعتنى به: محمد بن أبي شنب. لا.ط؛ الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1326 هـ/1908م.

27. **أبو حمو:** موسى بن يوسف، كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك. لا.ط؛ المحمية: مطبعة تونس الدولية، 1279 هـ.

28. **أبو مصطفى:** كمال، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي. لا.ط؛ الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1997م.

29. **الأسنوي:** جمال الدين عبد الرحيم ت772 هـ، طبقات الشافعية، تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط:1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1407 هـ/1987م.

30. **البركة:** محمد، فقه النوازل على المذهب المالكي؛ فتاوى أبي عمران الفاسي، جمع وتحقيق: محمد البركة. لا.ط؛ المغرب: افريقيا الشرق، 2010م.

31. **البركة:** محمد، فقه النوازل على المذهب المالكي؛ فتاوى أبي عمران الفاسي، جمع وتحقيق: محمد البركة. لا.ط؛ المغرب: إفريقيا الشرق، 2010م.

32. **برنشفيك:** روبار، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ترجمة: حمّادي الساحلي. ط:1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988م.

33. **بروقنسال:** إ.ليقي، نخب مختارة. لا.ط؛ باريس: مطبوعات لاروز، 1948م.

34. **البغدادي:** إسماعيل باشا، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، اعتنى به محمد شرف الدين بالتقابا ورفعت بيلكه الكليني. لا.ط؛ بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

35. **البغدادي:** إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. لا.ط؛ بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

36. **البغدادي:** محمد بن أبي يعلى الفرَّاء ت526 هـ، طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. لا.ط؛ المملكة العربية السعودية: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، 1419 هـ/1999م.

37. **البلوي:** أحمد بن علي ت938 هـ، ثَبَت البلوي، دراسة وتحقيق: عبد الله العمراني. ط:1؛ بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1403 هـ/1983م.

38. **بن الشيخ:** حكيم، عبد الرحمن الجيلالي من خلال مؤلفه تاريخ الجزائر العام. المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مخبر الجزائر تاريخ ومجتمع في الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، ع2، 2011م.

39. **بوحوش:** عمار، التاريخ السياسي للجزائر. ط:1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997م.

40. **بوعزيز:** يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة. لا.ط؛ الجزائر: دار البصائر، 2009م.

41. **بولمعالي:** النذير، العلامة عبد الرحمن الجيلالي؛ الشخصية الوطنية القومية، أكثر من قرن من العطاء. مجلة التواصلية، مخبر اللغة وفن التواصل، جامعة يحيى فارس، المدية، الجزائر، ع1، 2015م.

42. **بونابي:** الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين/12و13 الميلاديين. لا.ط؛ عين مليلة، دار الهدى للطباعة والنشر، د.ت.

43. **الترمذي:** محمد بن عيسى ت279 هـ، الجامع الكبير، تحقيق: بشار عوَّاد معروف. ط:1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996م.

44. **التلمساني:** محمد ابن صعد الأنصاري ت901 هـ، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق: يحي بوعزيز. ط:1؛ الجزائر: منشورات anep، د.ت.

45. **التليدي:** عبد الله بن عبد القادر، المطرب في مشاهير أولياء المغرب. ط:4؛ الرباط: دار الأمان، 1424 هـ/2003م.

46. **التنبكتي:** أحمد بابا ت1036 هـ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم:

عبد الحميد عبد الله الهرامة. ط:1؛ ليبيا: منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1398 هـ/1989م.

47. التنبكتي: بابا أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد ت1036 هـ، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، دراسة وتحقيق: محمّد مطيع. لا.ط؛ المملكة المغربية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1421 هـ/2000م.

48. التنسي: محمد بن عبد الل هـ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق وتعليق: محمود أغا بوعياد. لا.ط؛ الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2011م.

49. الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ت875 هـ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون. ط:1؛ بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418 هـ.

50. الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ت875 هـ، غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، تحقيق: محمد شايب الشريف. ط:1؛ بيروت: دار ابن حزم، 1426 هـ/2005م.

51. الجيلالي: عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام. ط:7؛ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1415 هـ/1994م.

52. الحجوي: محمد بن الحسن، الفكر السامي. لا.ط؛ الرباط: دار المعارف، ابتدأ الطبع 1340هـ وانتهى 1345 هـ.

53. حساني: مختار، تاريخ الدولة الزيَّانيَّة. لا.ط؛ الجزائر: منشورات الحضارة، 2009م.

54. الحسني: عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر. ط:1؛ الجزائر: دار الخليل القاسمي، 1427 هـ.

55. الحضيكي: محمد بن أحمد ت1189 هـ، طبقات الحضيكي، تقديم وتحقيق: أحمد بومزكو. ط:1؛ الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1427 هـ/2006م.

56. الحفناوي: أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف. لا.ط؛ الجزائر: مطبعة بيير فونتانة، 1324 هـ/1906م .

57. الحفيد: محمد بن مرزوق ت842 هـ، إظهار صدق المودة، مخ.

58. الحفيد: محمد بن مرزوق ت842 هـ، المنزع النبيل، دراسة وتحقيق: محمد بورنان

وآخرون. ط:1؛ الجزائر، مركز الإمام الثعالبي للدراسات والنشر، 1433 هـ/2012م.

59. حمدي: عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين. لا.ط؛ مصر: دار المعرفة الجامعية، 1997م.

60. الحموي: ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان. ط:1؛ بيروت: دار صادر، 1397 هـ/1977م.

61. الحِميَري: محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس. ط:2؛ بيروت: مكتبة لبنان، 1984م.

62. الخطيب: محمد بن مرزوق التلمساني ت781 هـ، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا. لا.ط؛ الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1401 هـ/1981م.

63. الخطيب: محمد بن مرزوق التلمساني ت781 هـ، المناقب المرزوقية، تحقيق: سلوى الزاهري. ط:1؛ الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1429 هـ/2008م.

64. خمار: أحمد، تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل. لا.ط؛ عين مليلة، الجزائر: دار الهدى، 2012م.

65. الداودي: محمد بن علي بن أحمد ت945 هـ، طبقات المفسّرين، تحقيق: علي محمد عمر. ط:2؛ القاهرة: مكتبة وهبة، 1415 هـ/1994م.

66. الدباغ: محمد بن عبد العزيز، من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني. ط:1؛ المغرب: مكتبة الأمة، 1413 هـ/1992م.

67. الدراجي: بوزياني، أدباء وشعراء من تلمسان. لا.ط؛ الجزائر: دار الأمل، 2011م.

68. زاهي: محمد، أبو القاسم سعد الله ومساهمته في الحفاظ على التراث الثقافي الجزائري. مجلة الحوار المتوسطي، مخبر البحوث والدراسات الاستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة الجيلالي اليابس، النعامة، الجزائر، ع7، ديسمبر 2014م.

69. الزركشي: محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق: محمد ماضور. لا.ط؛ تونس: المكتبة العتيقة، 1966م.

70. الزركلي: خير الدين، الأعلام. ط:15؛ بيروت: دار العلم للملايين، ماي

2002م.

71. **الزهري:** محمد بن أبي بكر، كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق. لا.ط؛ بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.

72. **السبتي:** القاضي عياض بن موسى بن عياض ت544 هـ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي وآخرون. ط:2؛ المملكة المغربية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1403 هـ/1983م.

73. **السخاوي:** محمد بن عبد الرحمن ت902 هـ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. لا.ط؛ بيروت: دار الجيل، د.ت.

74. **سعد الله:** أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. طبعة خاصة؛ الجزائر: دار البصائر، 2007م.

75. **سعد الله:** أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي. لا.ط؛ الجزائر: المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م.

76. **السلماني:** محمد بن الخطيب، رقم الحلل في نظم الدول. لا.ط؛ تونس: المطبعة العمومية، 1316 هـ.

77. **السَّملالي:** العباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حلَّ مراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة: عبد الوهاب بن منصور. ط:2؛ الرباط: المطبعة الملكية، 1413 هـ/1993م.

78. **السيوطي:** جلال الدين عبد الرحمن ت911 هـ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط:2؛ لا.م: دار الفكر، 1399 هـ/1979م.

79. **السيوطي:** جلال الدين عبد الرحمن ت911 هـ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط:1؛ لا.م: دار إحياء الكتب العربية: عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1387 هـ/1967م.

80. **شاوش:** محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان. لا.ط؛ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2011م.

81. **شعبان:** محمد اسماعيل، أصول الفقه تاريخه ورجاله. ط:1؛ الرياض: دار المريخ، 1401 هـ/1981م.

82. **الشفشاوني:** محمد بن عسكر الحسني، دوحة الناشر، تحقيق: محمد حجي. ط:2؛

الرباط: مطبوعات دار المغرب، 1397 هـ/1977 هـ.

83. **الشوكاني:** محمد بن علي ت1250 هـ، البدر الطالع. ط:1؛ القاهرة: مطبعة السعادة، 1348 هـ.

84. **الصفدي:** صلاح الدين خليل بن أيبك ت764 هـ، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. ط:1؛ بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420 هـ/2000م.

85. **ضيف:** شوقي، عصر الدول والإمارات. ط:1؛القاهرة: دار المعارف، د.ت.

86. **العبادي:** أحمد مختار، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس. لا.ط؛ الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، د.ت.

87. **عبد القادر:** جيلالي بلوفة، المؤرخ أبو القاسم سعد الله وتاريخ الحركة الوطنية الجزائرية من الكتابة إلى التنظير. مجلة الحوار المتوسطي، مخبر البحوث والدراسات الاستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة الجيلالي اليابس، النعامة، الجزائر، ع7، ديسمبر 2014م.

88. **العسقلاني:** أحمد بن علي بن حجر ت852 هـ، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد السند حسن عارمة. ط:1؛ القاهرة: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، 1429 هـ/2008م.

89. **العسقلاني:** أحمد بن علي بن حجر ت852 هـ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. لا.ط؛ بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

90. **العسقلاني:** أحمد بن علي بن حجر ت852 هـ، المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي. ط:1؛ بيروت: دار المعرفة، 1415 هـ/1994م.

91. **العسقلاني:** أحمد بن علي بن حجر ت852 هـ، تهذيب التهذيب، تحقيق: إبراهيم الزيبَق وعادل مرشد. لا.ط؛ لا.م: مؤسسة الرسالة، د.ت.

92. **العسقلاني:** أحمد بن علي بن حجر ت852 هـ، رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر. ط:1؛ القاهرة: مكتبة الخانجي، 1418 هـ/1997م.

93. **العمري:** ابن فضل الله أحمد بن يحي ت749 هـ، مسالك الأبصار في ممالك

الأمصار، تحقيق: كامل سليمان الجبوري. ط:1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 2010م.

94. عمورة: عمار، موجز في تاريخ الجزائر. ط:1؛ الجزائر: دار الريحانة، 2002م.

95. الغلاوي: محمد النابغة بن عمر، بوطليحية ،تحقيق: يحي بن البراء. ط:2؛ لبنان: مؤسسة الريان؛ والسعودية: المكتبة المكية، 1425 هـ/2004م.

96. الفاسي: الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر. ط:2؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983م.

97. الفاسي: محمد بن أحمد الحسني ت832 هـ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: فؤاد سيد. ط:2؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405 هـ/1985م.

98. فيلالي: عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني. لا. ط؛ الجزائر: عاصمة الثقافة العربية، 2007م.

99. القرافي: محمد بن يحي بن عمر ت1008 هـ، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق: علي عمر. ط:1؛ القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1425 هـ/2004م.

100. القرشي: عبد القادر بن محمد بن أبي الوفاء ت775 هـ، الجواهر المُضية في طبقات الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو. ط:2؛ الجيزة: مطبعة هجر، 1413 هـ/1993م.

101. القرطبي: محمد بن أحمد ابن رشد ت520 هـ، المقدّمات الممهّدات، تحقيق: محمد حجي. ط:1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1407 هـ/1988م.

102. القسنطيني: أحمد بن حسن الشهير بابن قنفذ ت810 هـ، الوفيات، تحقيق: عادل نويهض. ط:4؛ بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1403 هـ/1983م.

103. القسنطيني: أحمد بن حسن الشهير بابن قنفذ ت810 هـ، أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وصحَّحه: محمد الفاسي وأدولف فور. لا.ط؛ الرباط: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، 1965م.

104. القسنطيني: أحمد بن حسن الشهير بابن قنفذ ت810 هـ، شرف الطالب في أسنى المطالب، تحقيق: عبد العزيز صغير دخان. ط:1؛ السعودية: مكتبة الرشد، 1424 هـ/2003م.

105. **القسنطيني:** أحمد بن حسين بن قنفذ ت810 هـ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي. لا.ط؛ تونس: الدار التونسية للنشر، 1968م.

106. **القلصادي** أبو الحسن علي ت891 هـ، رحلة القلصادي، تحقيق: محمد أبو الأجفان. لا.ط؛ تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1978م.

107. **القلقشندي:** أحمد، صبح الأعشى. لا.ط؛ القاهرة: المطبعة الأميرية، 1331 هـ/1913م.

108. **الكتاني:** عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والأثبات، اعتناء: إحسان عباس. ط:2؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1402 هـ/1982م.

109. **الكتاني:** محمد بن جعفر بن إدريس، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصُلحاء بفاس، تحقيق: محمد حمزة بن علي الكتاني. لا.ط؛ الرباط: لا.ن، 1426 هـ/2005م.

110. **كحالة:** عمر رضا، معجم المؤلفين. ط:1؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، 1414 هـ/1993م.

111. **كمال** أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي. لا.ط؛ الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1997م.

112. **مارمول** كربخال، إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي وآخرون. لا.ط؛ الرباط: دار نشر المعرفة، 1409 هـ/1989م.

113. **المازوني:** يحي بن موسى ت883 هـ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، دراسة وتحقيق: قندوز ماحي. ط:1؛ الجزائر: منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 1433 هـ/2012م.

114. **المامي:** محمد المختار محمد، المذهب المالكي؛ مدارسه ومؤلفات هـ، خصائصه وسماته. ط:1؛ الإمارات العربية المتحدة: إصدار مركز زايد للتراث والتاريخ، 1422 هـ/2002م.

115. **المجاري:** محمد ت862 هـ، برنامج المجاري، تحقيق: محمد أبو الأجفان. ط:1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982م.

116. المزاري: الآغا بن عودة، طلوع سعد السعود، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز. لا.ط، لا.م: دار الغرب الإسلامي، د.ت.

117. المطوي: محمد العروسي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي. لا.ط؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1406 هـ/1986م.

118. مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواري ومحمد محفوظ. ط:1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988م.

119. المقري: أحمد بن محمد ت1041 هـ، أزهار الرياض في أخبار عياض، ضبطه وحقّقه وعلّق عليه: مصطفى السقا وآخرون. لا.ط؛ القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1359 هـ/1940م.

120. المقري: أحمد بن محمد ت1041 هـ، نفح الطيب، إحسان عباس. لا.ط؛ بيروت: دار صادر، 1388 هـ/1968م.

121. المقريزي: أحمد بن علي ت845 هـ، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمد الجليلي. ط:1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1423 هـ/2002م.

122. المكناسي: أحمد بن القاضي ت1025 هـ، جذوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام مدينة فاس. لا.ط؛ الرباط: دار المنصورة للطباعة والوراقة، 1973م.

123. المكناسي: أحمد بن محمد الشهير بابن القاضي ت1025 هـ، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور. ط:1؛ تونس: المكتبة العتيقة؛ والقاهرة: مكتبة دار التراث، 1391 هـ/1971م.

124. المنوني: محمد، تاريخ الوراقة المغربية. ط:1؛ المملكة المغربية: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1412 هـ/1991م.

125. مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، تحقيق وتقديم، بوزياني الدراجي. لا.ط؛ الجزائر: مؤسسة بوزياني للنشر، د.ت.

126. مؤلف مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد. لا.ط؛ العراق: دار الشؤون الثقافية العامة، د.ت.

127. مؤنس: حسين، فجر الأندلس. ط:2؛ جدَّة: الدار السعودية، 1405 هـ/1985م.

128. **الميلي**: مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي. لا.ط؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، د.ت.

129. **الناصري:** أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري. لا.ط؛ الدار البيضاء: دار الكتاب،1955م.

130. **النصيبي:** أبو القاسم بن حوقل، صورة الأرض. لا.ط؛ لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة، 1997م.

131. **نواب:** عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية والأندلسية. لا.ط؛ الرياض: مكتبة الملك فهد، 1417 هـ/1996م.

132. **نويهض:** عادل، معجم أعلام الجزائر. ط:2؛ لبنان: مكتبة نويهض الثقافية، 1400 هـ/1980م.

133. **نويهض:** عادل، معجم المفسرين. ط:3؛ لا.م: مؤسسة نويهض الثقافية، 1409 هـ/1988م.

134. **هلال:** عمار، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (14/3 هـ). لا.ط؛ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1995م.

135. **وليد** بن أحمد بن الحسين الزبيري وآخرون، الموسوعة الميسّرة. ط:1؛ بريطانيا: سلسلة إصدارات الحكمة، 1424 هـ/2003م.

136. **الونشريسي:** أحمد بن يحي ت914 هـ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي. ط:1؛ الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية؛ وبيروت: دار الغرب الإسلامي، 1401 هـ/1981م.

137. **الونشريسي:** أحمد بن يحي، وفيات الونشريسي؛ ضمن كتاب موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق: محمد حجي. ط:1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1417 هـ/1996م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء.	**5**
تقديم مدير المخبر.	**7**
مقدمة.	9
المبحث الأول: عصر الإمام ابن مرزوق الحفيد	**13**
المطلب الأول: الحياة السياسية في عصر الإمام ابن مرزوق الحفيد	15
المطلب الثاني: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في عصر الإمام ابن مرزوق الحفيد	32
المطلب الثالث: الحياة الدينية في عصر الإمام ابن مرزوق الحفيد	41
المطلب الرابع: الحياة العلمية والفكرية في عصر الإمام ابن مرزوق الحفيد	45
المبحث الثاني: حياة الإمام ابن مرزوق الحفيد	69
المطلب الأول: اسم الإمام ابن مرزوق الحفيد ونسبه ومولده.	71
المطلب الثاني: نشأة الإمام ابن مرزوق الحفيد ورحلته العلمية.	78
المطلب الثالث: شيوخ الإمام ابن مرزوق الحفيد وتلاميذه.	84
المطلب الرابع: مكانة الإمام ابن مرزوق الحفيد العلمية وشهادة العلماء له.	95
المطلب الخامس: مؤلفات الإمام ابن مرزوق الحفيد المكتملة وغير المكتملة.	103
المطلب السادس: وفاة الإمام ابن مرزوق الحفيد.	113
المبحث الثالث: جهود الإمام ابن مرزوق الحفيد في الفتوى	**115**
المطلب الأول: مصادر فتاوى الإمام ابن مرزوق الحفيد من الكُتُب	117

والأعلام	
المطلب الثاني: موضوعات فتاوى الإمام ابن مرزوق الحفيد	131
المطلب الثالث: منهج وأسلوب الإمام ابن مرزوق الحفيد في فتاويه	134
المطلب الرابع: مكانة فتاوى الإمام ابن مرزوق الحفيد العلمية ومستفتيه	153
الخاتمة:	157
الملاحق:	161
الفهارس العامة	171
فهرس الأعلام المترجم لهم	171
فهرس المصادر والمراجع	173
فهرس الموضوعات	185